مجلة البيان – العدد 30 ، ذو الحجة 1410هـ / يوليو 1990م

الافتتاحية

لبيك لا شريك لك...

إذا أردنا وصف هذا الدين بكلمة واحدة لقلنا: إنه دين (التوحيد)، فقاعدته الأساسية: هى إفراد العبودية والتلقي والتوجه لله سبحانه وتعالى ومحاربة الشرك بشتى ألوانه وأصنافه ، حتى يخلص الدين لله، وتتطهر الأرض من أنواع الطواغيت ، وكل الأعمال إذا خالطها الشرك تتحول هباءً منثوراً . وفي هذه الأيام حيث تغرق البشرية بأنواع الشرك والخضوع لغير الله والجهل بدين الله في كل ناحية من نواحى حياتهم، يبرز الإسلام كهادٍ وحادٍ للإنقاذ من وهدة الضلال وطريق الانحدار.

وإن منسك الحج من أعظم شعائر الإسلام تمثيلاً للتوحيد، ففيه تعود بنا الذكريات إلى سيدنا إبراهيم -عليه السلام- الذي حطم الأصنام ليكون الدين كله لله ، وترك بلاد الأصنام مهاجراً إلى ربه ، وهو الذي سمانا المسلمين من قبل ، وهو الذي بنى مع ولده إسماعيل -عليه السلام- أول بيت للناس يعبد فيه الله وحده ، وفي الطواف والسعي والوقوف والرمي يتجلى التوحيد ناصعاً، والدعاء كله لله (لبيك لا شريك لك...) بينما كان دعاء العرب في الجاهلية (لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك)،ولذلك وصف الصحابي حَجة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما أحرم من ذي الحليفة، قال : فأهلَّ بالتوحيد ،وهو يعنى: التلبية.

إن أغلى ما يملكه المسلم عقيدته الصافية التي يجب التمسك بها ولو انحرف عنها أهل الأرض ، ولو أن هناك محاولات (لعصرنة) الإسلام والتنازل عن شىء منه مقابل اعتراف الغرب بنا أو رضاه عنا.

إن رسول الله إبراهيم -عليه السلام- هو الذي حدد لنا هويتنا، إنها الملة الحنيفية، وليس لنا هوية غيرها، و بمجرد التنازل عن شيء منها يبدأ العد التنازلي لحضارتنا وقوتنا، إن الشريعة تكفل لنا العيش في هذا العصر إذا كنا على مستوى الاجتهاد والفقه في الإسلام ، ولكن أن نتنازل عن هويتنا بسبب جهلنا بما تبيحه الشريعة وبما تمنعه فهذه هى الطامة. ولانزال نسمع في هذه الأيام من يدندن حول التجديد في (أصول الإسلام) أي: التطوير في أصول الإسلام (1) حتى يتناسب مع هذا العصر، ولم يعلموا أن الثبات على المبدأ والتمسك به هو الذي يعطينا القوة أمام الأعداء. وأن الأخطار التي تواجه المسلمين وخاصة (المنطقة العربية) لا ينجي منها إلا الوقوف تحت راية (التوحيد).

ومن يـفـقــه هذا الدين ويعلم تفاصيله يدرك أنه وسط بين الملل المتشددة والمترخصة، وأنه حنيفية ســمـحاء، كما أن أهل السنة وسطٌ بين المذاهب الإسلامية، فالذي لا يعرف قدرهم يظن أنهم حرفـيـــون ، نصِّيون لا يفقهون مرامي الكتاب والسنة، وهذا كله بسبب الجهل بحقيقة فهم أهل السنة وطرائقهم في الاستدلال والتفكير، والحقيقة: أن التطرف لا يصلح عليه أمر الخلق ، فكيف يبقى الإسلام ويبقى مذهب أهل السنة ؟، لولا أنه يحمل بذور بقائه ، وهذا من حفظ الله له.

وفى مناسك الحج يبرز أمرٌ آخر لابد من التنبيه عليه والتنويه به، وهو :(توحد المسلمين فالحج من أعظم شعائر الإسلام إبرازاً لهذه الخاصية، ففيه يجتمع المسلمون من شتى أقطار الأرض ، ألا يوحي لنا هذا بمحاولة التوحد التي نرى ونحس بعض إرهاصاتها ، ولكن لم تتحقق بعد على أرض الواقع حتى بين أصحاب المنهج الواحد، مع أن هذا الـتـوحــد فيه مصلحة الدين والدنيا، ومع كثرة الأوامر به والزواجر عن ضده:»ذروني ما تركتكم ، فإنما هـلـك مـن كـان قـبـلـكم بـكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم« ((صحيح الجامع الصغير 156/3).

ومع هذا فلا تزال فـكــرة الـتـوحــد ضعيفة لم تأخذ مجرى التطبيق العملي بعد، ولم يتم الإسراع بها ، وسبب ذلك هو ضعف البصيرة عن العواقب ، والنظر إلى العاجل من مغانم سطحية مؤقتة لا تسمن ولا تغني من جوع.

إن أهل السنة مدعوون الآن أكثر من أي وقت مضى لإظهار خاصية من خصائص الإسلام، وهي جمع الناس على دينٍ واحـــد، وإذا كان الغرب الأوربي والغرب الأمريكي قد انفرد بالساحة وحده ولم يعد له منافس من الشرق الشيوعي، فإنه يعلم ويصرح علناً أن المنافس الآن هو الإسلام. وإذا لم نتمكن من التوحد تحت راية (التوحيد) فسنبقى رقماً كما أطلق علينا (العالم الثالث).

الهوامش:

1- انظر مقابلة (الشرق الأوسط 12 / 6 / 1990) مع الدكتور: محمد فتحي عثمان.

في إشراقة آية

((أَصْلُهَا ثَابِتٌ وفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ))

د. عبد الكريم بكار

سيظل للكلمة أثرها الفعال في تغيير أفكار الناس وأمزجتهم ومشاعرهم وواقعهم ، وذلك إذا استوفت شروطاً معينة. وليس أدل على رفـعـة مكانة الكلمة في حياة البشر من أن الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام -كانوا يجيدون

استخدامها في التعبير عن الحقائق الراسخة والربط بينها وبين واقع البشر ورصيد الفطرة المتبقي لديهم.
فهذا نوح -عليه السلام - يجادل قومه باسـتـفـاضة، حتى ضج قومه من ذلك حين قالوا: ((قَـالـُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا)) [هــود:32]، وهذا إبراهيم -عليه السلام- يـكـرمــه الله تعالى، فيهبه من قوة الحجة ما يفحم قومه: ((وتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)) [الأنعام:83]. وهذا موسى -عليه السلام- يقول:((واحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي)) [طه:27،28]،ثم يطلب من الله تعالى أن يتفضل عليه بإشراك هارون معه في التبليغ لفصاحة لسانه حين يقول: ((وأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ)) [القصص:34]. والله تعالى يقوم لخاتم أنبيائه: ((وقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً))
[النساء:63]. وكل هذا قبس مما نسبه الباري -جل وعلا- لنفسه حين قال : ((قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)) [الأنعام:149]
وحجج النبيين ومضامين خطابهم للخلق -في الأصول - واحدة أو تكاد، مما يجعل جذور الـكـلـمـة الـطيبة ضاربة في أعماق الزمن من لدن نوح -عليه السلام- إلى خاتمهم محمد -صلى الله عليه وسلم-، وهذا يجعل حركة التاريخ كلها في سياقٍ عامٍ واحدٍ، هو: التأكيد على أهمية الكلمة الطيبة في إنقاذ البشرية من الضلالة.
ونـحـن فـي كـثير من الأحيان نستخف بقيمة الكلمة، ومع أهمية العمل إلا أن لكل منهما مجاله الذي لا يـصـلـح فـيــه غيره ، وفى تاريخنا الإسلامي أمثلة كثيرة جداً غيَّرت فيها الـكـلـمـة مـسـار شخص أو مدينة، بل قارة، فمما يذكرون في هذا الصدد أن وفداً من بعض بلاد أفريقية وفد حاجاً، فالتقى بالإمام مالك بن أنس صاحب المذهب ؛ فأثنى مالك على والي ذلك البلد خيراً، وتمنى لو رزقت المدينة مثله في عدله وصلاحه. فبلغ ذلك والي ذلك البلد الإفريقي، فأمر بتدريس كتب مالك في بلده ، وأدى ذلك إلى انتشار المذهب المالكي في أرجاء أفريقية!. وما أظن أن ما حدث كان يخطر للإمام على بال.
وقد تغني الكلمة الواحدة غناء جيش أو جيوش ، كما حدث في غزوة الأحزاب حين أسلم نعيم بن مسعود، واستخدم عدم علم المشركين بذلك في تبديد الثقة بين قريش واليهود على مــا هــــــو مشهور. وقد أدركت الشركات والمؤسسات التجارية قيمة الكلمة في التأثير على المشتري ودفعه إلى شراء ما لا يحتاج له ، قال أحدهم: لو كان لى عشرة دولارات لتاجرت بواحدٍ وصنعتُ دعاية بالتسعة الباقية.
وإذا أردت أن تشل فاعلية شخص ما، فيكفى أن تقنعه : أن عمله غير ذي فائدة.

و الآية التي نحن بصددها زاخرة بالمعاني والصور التي تجعل الكلمة في أرقى حال جمالاً وكمالاً ونفعاً. ولنقرأ الآية وما تلاها لنقتبس شيئاً من نورها، قال الله -جل وعلا-:((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإذْنِ رَبِّهَا ويَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)) [إبراهيم:24-25] ،لقد شبه الباري -عز اسمه - الكلمة الطيبة بشجرة طيبة، وهذه الشجرة الطيبة تتصف بثلاث صفات أساسية: ثبات أصلها وعمق جذورها ،ثم ذهاب فروعها وأفنانها في السماء، ثم نفعها الدائم للخلق باستمرار أكلها وثمارها. ولنفصل القول في تنزيل هذه الصفات على الكلمة الطيبة.

1 - ثبات الأصول :

حـيـن نـعـــرف أن أصول دعوات الأنبياء -عليهم السلام- واحدة، تركزت في الدعوة إلى التوحيد الـخـالــص وعبادة الله تعالى وإقامة الحق والعدل في الأرض و إعمارها بما يسمح بإقامة مجتمع الـتـوحيد ؛ ندرك أي جذور ضاربة تمتلكها الكلمة الطيبة على اتساع أمداء الزمان والمكان ، ونـــدرك أي رصيد من المنطق العام الذي بناه الأنبياء تستند إليه ، وأي رصيد ضخم من الفطرة يؤازرها في عملية البلاغ المبين.

وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لــعـلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد«. قال ابن حجر: ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع -[فتح الباري 489/6]

فـالـكـلـمـة الطيبة إرث موروث متصل بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-. ولكن المشكلة أن الـتـفــريــق بـيــن الأصول والفروع قد لا يتهيأ لكل الناس مما يجعل الخلط بينهما وارداً، وحينئذ فقد يجمد ما ينبغي أن يتطور، وقد يتطور ما ينبغي أن يثبت.

واليوم نتيجة لـعـلـمـيات الضغط الفكري التي تمارسها التيارات المادية، نجد أن كثيراً من الــكــتـــاب والمفكريـن الذين لهم صبغة إسلامية بدأوا يتزحزحون عن كثير من مواقعهم، مصطحبين معهم أفكاراً أو أحكاماً عليها الإجماع ، أو السواد الأعظم من علماء المسلمين ، بل بعض الأصول التي ليست موضع نزاع.

ويحضرني هنا ما كتبه أحد الذين لهم نفس إسلامي عن لقائه مع القسس الذين يعيشون في بعض بلدان العالم الإسلامي ،حيث أثنوا على كتاباته ، وسألوه عن الوضع الذي ينبغي أن يكونوا عليه وهم يعيشون بين المسلمين؟ وقد أجابهم بقوله : أول ما نطلبه من النصراني الذي يعيش بيننا أن يتمسك بنصرانيته... !! وهذا المطلب عجيب غريب ، وهو غني عن كل تعليق. فهل

يصح لهذا و أضرابه أن يدعي أنه يكمل مهمة نبيه -صلى الله عليه وسلم- في تبليغ الرسالة وهداية الخلق؟!.
وقريب من هذا الفتاوى التي صفق لها كثيراً الذين في قلوبهم مرض ،من أمثال: إباحة الربا الذي تتعامل به البنوك اليوم ، ومن مثل: القول بعدم وجود حد للردة في الشريعة.... الخ. وإذا استمر هذا النهج على ما هو عليه اليوم فسنجد أنفسنا أمام دين يقبل كل إضافة كما يقبل أي حذف ، ويصبح قابلاً للتشكيل على ما يشتهي أهل الأهواء والشهوات ، لأنه صار شيئاً ليس بذي طعم ولا لون ولا رائحة... ولكن ذلك لن يكون -بإذن الله- ما نشط أهل الحق في توضيحه والذود عن حياضه.

2 - مرونة الأساليب وتنوعها:

على مقدار ما تكون جذور الكلمة الطيبة وأصولها راسخة ثابتة تكون أساليبها مرنة نامية منوعة، وهذا في حد ذاته أحد مقتضيات ثبات الأصول؛ فأحوال البشر وأفهامهم مختلفة، ولذلك تعدد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وتنوعت شرائعهم ، وصدق الله العظيم إذ يقول :((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)) [إبراهيم:14]، فالرسول يكلم الناس بلغتهم التي يتكلمون بها على أوسع ما تحمله هذه الكلمة من دلالات ، والهدف هو: أن يبين لهم ما يدعو إليه ، وقد أخذ الأسلوب القرآني من العرب كل مأخذٍ،وتحداهم وطاولهم في التحدي ، وأقام عليهم الحجج الدامغة التي تناسب أوضاعهم الفكرية آنذاك. واللغة في أبسط تعاريفها هي:مجموعة الإمكانات التعبيرية في بيئة من البيئات ، وهذه الإمكانات التعبيرية تتسع باتساع حضارة اللاغين بها ، واتساع غنى الخلفيات الثقافية لديهم، وهذه الإمكانات دائمة التغيير والتشكل تمر بعين الأطوار التي يمر بها الكائن الحى من الولادة إلى الموت وما بينهما من مراحل. ولغتنا الفصحى تنمو ضمن أطر صارمة، فالفاعل لن ينمو ليصبح مجروراً، والمضاف إليه لن ينمو ليكون مرفوعاً، ولكن بين تلك الأطر مساحات واسعة شاسعة تتحرك فيها اللغة على مستوى التراكيب والدلالات والأصوات ، وتلك الحركة تساير وتناغم شلالات الثقافة في الأمة في تنوعها ودرجة عنفها.

لغة العصر :

من سمات حركة التاريخ أن دور العبادة تظل كهوفاً لنوعٍ أو لأنواعٍ من العلم مهما ساءت أحوال الأمة الثقافية، وعلى امتداد تاريخنا الإسلامي كان علماء الشرع يشكلون السواد الأعظم من الكتاب والباحثين والمفكرين ، مما جعل اللغة التي يتكلم بها الصفوة من الناس هي عين اللغة التي يتحدث بها الدعاة ، لأنهم هم الذين شكلوها، وعلى ألسنتهم تطورت ونمت... ولكن الزمان قد اختلف ، حيث إن اللغة التي يتكلم بها النخبة اليوم تكونت من جهد ثقافي متنوع ، فأجهزة الإعلام والجرائد والمجلات والقصص والروايات والكتب التي صنفها باحثون تنوعت ثقافاتهم مضامين وأساليب ، وبفعل وسائل الاتصالات

الحديثة صار العالم بمثابة قرية صغيرة تكثفت فيها الآراء والاتجاهات والثقافات...
وكان في هذا تحدٍ عظيم لكل من يريد مخاطبة الناس والتأثير فيهم ، إذ أن الخلفية الثقافية للمخاطبين صارت أكثر تعقيداً بسبب ثراء الساحة الثقافية وتنوعها، مما أسفر عن وجود حواجز كثيرة ، على الكلمة أن تتجاوزها قبل الاستقرار في الذهن أو العاطفة ، كما صار التزام الدقة في أداء الكلمة شرطا أساسيا للحيلولة دون أن يساء فهمها، كما صار اختيار العبارات المناسبة للحقيقة التي يُراد إيصالها للمخاطب أمراً ضرورياً جداً.
فإذا كانت الحقيقة التي نريد توصيلها أدبية أو حضارية فإن العبارة القادرة على اختراق الحجب هي التي تحمل في تركيبها قابلية تعدد المعاني عند مختلف الدارسين ، بحيث يكون لكل منهم فيها خطة من التفسير و التأويل ، بشرط أن يكون ذلك ضمن طاقة التركيب اللغوي الذي بين يديه. أما الحقيقة العلمية الكونية أو العقدية أو الفقهية : فينبغي أن تصاغ بعبارة غاية في الدقة لا تدع مجالاً إلا لمعنى واحد، كما أن في تلك المعنى لا يجد دقة صياغته إلا في تلك العبارة.
فإذا لم يراع المتحدث أو الكاتب هذا أحدثت عباراته للناس فتناً، وأوقعته في الريبة مع سلامة قصده ، وفتحت عليه من نوافذ النقد ما لا قبل له به.

من خصائص لغة العصر :

يتمخض عن تلاطم الأفكار والثقافات المختلفة قناعات ومفاهيم عند السواد الأعظم من الناس ، وهذه المفاهيم قد تكون صحيحة، وقد لا تكون لأنها لا ترتكز في أكثر الأمر على حقائق موضوعية بقدر ما تنبع من قوة الفعاليات على الساحات الثقافية والفكرية ، وهذه القناعات تشكل مفردات التركيب الذهني لدى الناس ، مما يجعل امتصاصهم للمعلومات التي يطلعون عليها ذا سمات خاصة تنسجم مع ذلك التركيب. وحينئذ فإن الداعية مطالب بمعرفة تلك القناعات والمفاهيم ، كما أنه مطالب بتحسس التركيب الذهني السائد في عصره حتى يخاطب الناس بلسانهم ، ومن هذه الخصائص :

أ- اعتماد الإحصاء بدلاً عن الفلسفة :

كانت الفلسفة تسمى ملكة العلوم ، وذلك بسبب تأثير منهج أرسطو في منحنيات الفكر البشري ومساراته، وقد كان الناس إلى عهد قريب يسمون من أوتي فيهم مقدرة خاصة على التعبير بـ (الفيلسوف)، بل إن بلداً مثل بريطانيا مازال يستخدم كلمة (فلسفة) في شهادات التخصصات العليا لديه. وقد تأثر الفكر الإسلامي قديماً بالمنطق الأرسطاليسي، وتسربت مقولاته وأقيسته إلى كثير من كتب الأصول والفقه والعربية، بل والعقيدة. ذلك الفكر الذي لا يقيم للتجربة أدنى وزن ، ومن الطرائف المتناقلة في هذا : أن أرسطو كان يزعم

أن أسنان الرجل أكثر من أسنان المرأة! ولو أن زوجته فتحت فمها وعدَّ أسنانها لعرف أن زعمه حديث خرافة..
وقد أدركت أوربة في أوائل عصر نهضتها ألا نهضة ولا تقدم قبل نبذ الفكر الأرسطي القياسي ، ثم الاتجاه إلى التجريب لتتويجه ملكاً على العلوم المادية، ومن ذلك اليوم بدأت قناعات الناس تنحو منحى لغة الرقم لاستفتائها والبناء عليها، وهذه نقطة إيجابية إذا أحسنا التعامل معها ، ولكن كثيرين منَّا مازالوا غير واعين لهذه الحقيقة ، مما يجعلهم يستمرون في سوق الحجج العقلية مع توفر أرقام واقعية تدعم قوله ، وتؤيده، فعلى سبيل المثال : فإن تقديم نماذج واقعية ذات أرقام محددة على ما يكن أن ينتج من الأمن والرخاء نتيجة تطبيق الحدود والنظام الاقتصادي الإسلامي - أجدى وأنجع بكثير من سرد مجلدات من العلل والحجج العقلية التي تشرح فوائد الالتزام بالإسلام ، أو تلك التي توضح سلبيات الربا وتطبيق القوانين الوضعية.
ومن المفيد هنا أن نقول : إن أرسطو أنشأ فن الجدل ليسد الثغرات التي يتركها الاستقراء الناقص للأحداث والأفكار ؛ كما أنشئت فلسفة التاريخ فيما بعد لتسد النقص في التفاصيل التاريخية، أما اليوم فقد أضحى الإحصاء إحدى أهم سمات عصرنا البارزة، مما يسهل استخدامه حتى نخفف من الجدل والمماحكات اللفظية العقيمة .
-للبحث صلة-

خواطر في الدعوة

المَلَل من كَواذب الأخلاق

محمد العبدة

جاء في "صحيح ابن حبان" عن عـائـشـة -رضي الله عنها- تصف خلقاً من أخلاق الرسول -صلى الله عليه وسلم- قالت :"كــان عـمـلـه ديمة "(1)، وفي حديث آخر قالت : "كان أحب الأعمال إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي يدوم عليه صاحبه"(2).
أراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تعويدنا على المثابرة والدأب على العمل الذي نبدأ به ، وأن يكون نفسنا طويلاً فلا ننقطع لأي عارض ، ولاشك أن هذا الخلق وهذه العادة من أكبر أسباب نجاح الأمم والأفراد، لقد افتـقـدنـا هذا الخلق في الأزمنة المتأخرة فما أن نبدأ بعمل أو مشروع ما حتى ننقطع ، وما أن نسير خـطـوات حـتـى نمــل ونـتـعـب ، وكم من مشاريع علمية أو اقتصادية بُدئ بها ثم انقطعت ، سواء كانت مشاريع فردية أم جماعية، وبعد الانقطاع تتغير الوجهة ونبدأ من جديد. والسبب في هذا : هو أن الطبع مـلـول ، ولم نتعلم بعد (فن التعاون) فيما بيننا ونريد قطف الثمرة بسرعة، ولو

تصفحنا التاريخ لوجدنا أن كـبــــار علمائنا لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بالمثابرة والمصابرة، وكم عانى عـلـمـــــاء الحديث من الترحال ومشقة الأسفار، وغيرهم من العلماء ما تسنموا هذه المنازل إلا بعد أن جثوا على الركب سنين، وكان أحدهم يسهر أكثر الليل يفكر بالمسألة ويقلب فيها وجهات النظر.
وإذا جــــــاز لنا التعلم من الأعداء ، فإن هذا الخُلق موجود عند الغربيين ، يستقر المبشر بالنصرانية في قرية منقطعة في غابات آسيا أو أدغال أفريقيا سنوات وهو يدعو إلى باطله ، وتكون الـنـتــائج غالباً ضئيلة فلا يخرج إلا بالآحاد الذين تنصَّروا، ومع ذلك لا يسأم ولا يمل، وقد يـتـعـجـب المرء إذا علم أن بعض الصحف والمجلات الغربية لا تزال تصدر من مائة سنة أو أكثر، وبالاسم نفسه دون انقطاع ، وبعض مؤسساتهم عمرها مئات السنين لم تتغير، حتى في شكلها، فمقر رئاسة الوزراء في بريطانيا (10 داوننغ ستريت) عمره (250) سنة ولم يفكروا بالانتقال إلى مكان أوسع وأرحب ، وأما مشاريعهم العلمية الطويلة الأمد فيعرفها كل طالب علم كالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، وكتابة المستشرق (دوزي) لتاريخ المسلمين في الأندلس استغرقت عشرين سنة، ومشروع تاريخ التراث العربي...
إن هذا الاستمرار الطويل يعطي رسوخاً وتجربة، ويخرج أجيالاً تربت من خلال هذه الاستمرارية، والانقطاع لا ينتج عنه إلا الخيبة والندامة، وقد نهانا الله سبحانه وتعالى أن نكون ((كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً)) [النحل: 92]، وهذا عمرو بن العاص -رضي الله عنه- عندما كان أميراً على مصر وقد ركب بغلةً قد شمط وجهها، واجتاز بها منازل أمراء الصحابة وكبار القواد في الفسطاط ، فقال له أحدهم:أتركب هذه البغلة وأنت من أقدر الناس على امتطاء أكرم ناخرة (فرس) بمصر؟ فقال : لاملل عندي لدابتي ما حملت رحلي، ولا لامرأتي ما أحسنت عشرتي، ولا لصديقي ما حفظ سري ، فإن الملل من كواذب الأخلاق.

الهوامش:

1 - صحيح ابن حبان 27/2 بتحقيق الأرنؤوط ، قال ابن الأثير: الديمة: المطر الدائم في سكون.
2 -المصدر السابق 28/2.

مصطلحات إسلامية

الجوار

إعداد : عادل التل

المعنى اللغوي :

الجوار: المجاورة.
والجِوار والجُوار بمعنى واحد،ولكن الكسر أفصح.
وجمع جار: أجْوار وجيرة وجيران ، ولفظ الجار له معانى كثيرة منها:
الجار:الذي يجاورك بيت بيت، والحليف، والناصر، والقاسم، والـشـريـك فـي التجارة، وجارة المرأة ضرتها، والمرأة جارة لزوجها لأنه مؤتِمر عليها، وأمرنا أن نحسن إلـيـهــا ولا نعتدي عليها لأنها تمسكت بعقد حرمة الصهر،وصار زوجها جارها لأنه يجيرها ويمنعها.
والجار الجنب : أن لا يكون له مناسباً (ليس من أقاربه) فيجيء إليه ويسأله أن يجيره ، أي: يمنعه، فينزل معه، ومنه يقال للذي يستجير بك : جار، وللذي يجير: جار، ومنه الجار الذي أجرته من أن يظلمه ظالم ،وأجار الرجل : خفره.

المعنى الاصطلاحي :

قــال تـعـالـى: ((قُلْ إنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ولَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً))،أي: لــن يمنعني مــن الله أحـــد، ولن ينصرني عليه أحد، وقال أيضا: ((قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وهُوَ يُجِيرُ ولا يُجَارُ عَلَيْهِ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)) أي: وهو السيد العظيم له الخلق والأمر والعظمة والكبرياء، فلا يحول شىء دون حكمه وأمره. يلتقى معنى الإجارة مع الاستعاذة، فكل منهما يطلب خــلالــه الحماية والمنعة، ولكن الاستعاذة لاتكون إلا بالله ، بينما تكون الإجارة في الدنيا من الناس.
ويختلف حكم الجوار عن المعاهدة، والتي تكون بين المسلمين وغيرهم وتضع أحكاماً على الطرفين المتعاهدين ، بـيـنـمــا الجوار لا ينشأ التزامات متبادلة ، وإنما يقع الالتزام على طرف واحد -وهو المجير- لصالــح المستجير ، بأن يحميه ويرفع عنه الظلم وفق أعراف الجاهلية ، ومثال المعاهدة: (صلح الحديبية) ، ومثال الجوار: دخول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مكة بجوار الـمـطعم بن عدي ، وقد كان سابقاً في حماية عمه أبى طالب وبني هاشم ، وهكذا يأخذ الجوار معنى الأمان والحماية والمنعة.

من أحكام المصطلح :

قال تعالى : ((وإنْ أَحَدٌ مِّنَ المُشْرِكِـيــنَ اسْـتَـجَـارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ)) [التوبة:16] ، وفيها جواز إعطاء الكافر الأمان في بلاد المسلمين حتى يسمع كلام الله تعالى ويطلع عن قرب على أمر الدين فـتـقـــوم الحجة عليه ، وكذلك لابد من ضمان عودته إلى بلاده آمناً، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :»يد المسلمين على من سواهم، تتكافأ دماؤهم وأموالهم ، ويجير على المسلمين أدناهم«،أخرجه ابن ماجه ، لذلك قال لأم هانىء:(قد أجرنا من أجرت). أخرجه البخاري.
أما عندما يكون المسلمون في حالة الضعف ،في مرحلة الدعوة، وعندما يشتد عليهم أذى المشركين وتنزل بهم المحن والخطوب، فليس أمامهم إلا تحمل

الآلام والمشقة، أو الدخول في جوار أحد من الناس ، أو الهجرة إلى مكان آمن ، وقد خرج جماعة من الصحابة فراراً بدينهم - ومن بينهم رجال من كبار الصحابة -، مصطحبين معهم النساء والأبناء، حيث قصدوا أرض الحبشة ونزلوا مطمئنين بجوار ملكها العادل - وذلك قبل أن يدخل النجاشي بالإسلام - ، ومن المشهور عن الصحابة أنهم لم يتنازلوا من أجل الحماية والأمان عن أي شيء من أمر دينهم ، ولم يبدلوا من سلوكهم أو مواقفهم لقاء هذه الحماية، وكان الدخول بالجوار دون قيد أو شرط يحول بين المسلم ودينه ، ولا يشترط في عقد الجوار أن يكون صريحاً من إيجاب وقبول ، فقد يكون من طرف واحد يعلن حمايته لهذا الرجل ، وذلك من أجل قرابة أو حباً في مواقف الشرف ، وقد يكون الجوار على شكل بلاد مفتوحة أمام المهاجرين ، بحيث يستطيع الإنسان أن يقيم فيها دون الالتزام بقيود في مجال الاعتقاد، وإنما يعتمد على قوانين تلك البلاد التي لا تتعرض للأحوال الشخصية للناس ، كما هو الحال في بعض البلاد الأوربية وغيرها.
ومن المآثر التي خلفها لنا أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أن منهم من رفض قبول جوار المشركين وهو يقول : " إني دخلت في جوار من هو أعز منك.. لقد دخلت في جوار الله تعالى " ، ومنهم من رد الجوار بعد أن حاول المجير أن يحد من مواقف ونشاط المستجير، ولقد رد أبو بكر الصديق - رضي الله عنه-الجوار لابن الدغنة عندما طلب منه أن لا يصلي خارج بيته ، قال أبو بكر: " أو أرد عليك جوارك ، وأرضى بجوار الله " .

كاتب وكتاب

الشَّهْرَسْتَانِي وَكِتَابَه:
المِلَل والنِّحَل

عبد العزيز بن محمد آل عبداللطيف

في هذه الدراسة المختصرة ، سأتحدث عن أحد الأعلام البــارزين الذين كان لهم دور ظاهر في تدوين مقالات الفرق والمذاهب ســـواء كـانـت إســلامـيـة أو غـيـر إسلامية، فكان كتابه موسوعة موجزة ومرتبة للكثير من الآراء والمعتقدات للفرق الإسلامية وغيرها.
هذا العَلَم هــو: أبــو الفـتـح مـحـمــد بن عبد الكريم المعروف بالشهرستاني (ت 548هـ)، وكتابه: هو " الملل والنحل ".
ولعل من المناسب أن أشير إلى أهمية دراسة شخصية الشهرستاني ، وكتابه الملل والنِّحل، فالشهرستاني - فيما هو مشهور ومـعـلـوم عـند الكثير من الدارسين - أحد شيوخ الكلام ، وواحد من علماء الأشاعرة ، وله دراية وخبرة بمقالات الفرق والملل والنِّحل ، ولكن هناك جوانب مهمة عن الشهرستاني قد

تخفى على بعض الدارسين،كاتهامه بالميل إلى الباطنية، أو القول بتشيعه ، ولعلنا نلقي بعض الضوء على هذه القضية.
وأما كتابه " الملل والنحل " فهو مرجع مشهور، ومصدر متداول بين أيدي الباحثين، وقد ترجم إلى عدة لغات ؛ ومع ذلك فلا توجد دراسة علمية مطبوعة (1)-فيما أعلم- تتحدث عن منهج الشهرستاني في هذا الكتاب المهم ، وتبين مصادره ، وتوضح مزاياه ، كما تذكر المآخذ عليه.
ولد الشهرستاني سنة 479 هـ ببلدة شهرستان في أقليم خراسان ، وهو - كما يقول الذهبي -: " شيخ أهل الكلام والحكمة، وصاحب التصانيف "(2)، برع في الفقه ، والأصول ، والكلام ، تفقه على أحمد الخوافي، أخذ الأصول والكلام على أبى نصر بن القشيري ، ودخل بغداد سنة 510هـ ، وتوفي بمسقط رأسه سنة 548 هجرية.
ألف الشهرستاني تصانيف تصل إلى تسعة وعشرين كتاباً، منها المطبوع ، والمخطوط، والمفقود. ومن كتبه المطبوعة: الملل والنحل ، ونهاية الإقدام في علم الكلام ، ومصارعة الفلاسفة. ومن كتبه المخطوطة : رسالة في اعتراضات الشهرستاني على كلام ابن سينا، والمناهج في علم الكلام ، وقصة يوسف-عليه السلام-(3)، وغيرها.
ومن كتبه المفقودة : مناظرات مع الإسماعيلية، وتاريخ الحكماء و غيرهما(4).
والآن - أخي القارئ -: أنقل لك بعض أقوال أهل العلم الذين اتهموا الشهرستاني بالميل إلى الإسماعيلية الباطنية.
قال ابن السمعاني : كان الشهرستاني متهماً بالميل إلى أهل القلاع - يعني: الإسماعيلية- والدعوة إليهم، والنصرة لطاماتهم.
وقال في "التحبير": إنه متهم بالإلحاد، غال في التشيع.
وقال ابن أرسلان في "تاريخ خوارزم" عن الشهرستاني: عالم ، كيِّس ، متفنن ، ولولا ميله إلى أهل الإلحاد وتخبطه لكان هو الإمام (5).
ونقل صاحب "شذرات الذهب" عن كتابه "العبر": أنه اتهم بمذهب الباطنية(6).
وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيميه شيئاً من ذلك ، ولكن بصيغة " تمريضية " فقال رحمه الله: " وقد قيل: إنه صنف تفسيره "سورة يوسف" على مذهب الإسماعيلية -ملاحدةِ الشيعة- (7).
وفي المقابل نجد علماء ينفون هذه الدعوى عن الشهرستاني ، فهذا السبكي يدافع عن الشهرستاني فيقول بعد أن ذكر أقوال من اتهم الشهرستاني بالميل إلى الباطنية :
"فأما (الذيل)(8) فلا شيء فيه من ذلك ، وإنما ذلك في (التحبير)"(8)، وما أدري من أين ذلك لابن السمعاني؟ ، ويقع أن هذا دُس على ابن السمعاني في كتابه (التحبير)، وإلا فلم لم يذكره في (الذيل)؟"(9).

وينفي شيخ الإسلام - في موضع آخر - هذه التهمة عن الشهرستاني فيقول :
" يذكر (الشهرستاني) أشياء من كلام الإسماعيلية الباطنية، ويوجهه ، ولهذا اتهمه بعض الناس بأنه من إلإسماعيلية، وإن لم يكن الأمر كذلك "(10).
ومما يؤكد ذلك أن الشهرستاني صنف في ذكر فضائح الباطنية (11)، كما أن للشهرستاني صولات وجولات مع ابن سينا الفيلسوف الباطنى، يقول ابن القيم :
" وصارع محمد الشهرستاني ابن سينا في كتاب سماه (المصارعة) ، أبطل فيه قوله بقدم العالم ، وإنكار المعاد، ونفي علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم "(12).
وإضافة إلى ذلك ، فقد تحدث الشهرستاني عن الباطنية، وذكر شيئاً من مقالاتهم(13)،ولكن كان الواجب على الشهرستاني أن يكشف عن معتقدات الباطنية، ويبين إلحادهم وزندقتهم وكيدهم لأهل الإسلام ، كما فعل سلفه عبد القاهر البغدادي في (الفرق بين الفرق) (14) ، وغيره. ونقف وقفة يسيرة أمام هذه الأقوال المتعارضة، لنقول : إنه يمكن أن نعزو رمي واتهام الشهرستاني بالإسماعيلية إلى جملة أسباب تتعلق بشخصه، منها: أن الشهرستاني -وللأسف - مع كثرة اطلاعه ومعرفته للمذاهب والفرق الإسلامية، فإنه كان جاهلاً بمذهب السلف الصالح ، فلا يعلم معتقد أهل الحديث ، وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام في غير موضعٍ ، فقال :
"فالشهرستاني صنف (الملل والنحل) ، وذكر فيها من مقالات الأمم ما شاء الله ، والقول المعروف عن السلف والأئمة لم يعرفه ، ولم يذكره "(15).
ولقد ورَّثت هذه المعرفة الواسعة للمذاهب المختلفة صاحبنا-مع الجهل بمذهب السلف الصالح - حيرةً واضطراباً، عبر عنها بهذين البيتين من الشعر ، فقال :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كـف حــائرٍ عـلى ذقنٍ أو قارعاً سن نادم (16)

وتتمثل هذه الحيرة وعدم الاستقرار على مذهب ما، ما نلاحظه في الشهرستاني من موافقة للأشاعرة، ومن ميل للإسماعيلية مرة أخرى، وإظهار التشيع (17) مرة ثالثة، وربما تأثر بفلسفة أو تصوف.
وسبب آخر جعل بعض العلماء يتهم الشهرستاني بالباطنية، وهو ما أشار إليه ابن حجر -رحمه الله-حيث قال معقباً على ما ذكر من وقوع الشهرستاني في ذلك :
"لعله كان يبدو من ذلك على طريق الجدل ، أو كان قلبه أُشرب محبة مقالتهم لكثرة نظره فيها، والله أعلم "(18). -
إذن فإلحاح الشهرستاني وإمعانه في مناظرة الإسماعيلية، وكثرة جداله معهم ، ربما كان سبباً في رميه بالباطنية لتأثره بتلك المناظرات ، وقد صرح

الشهرستاني بكثرة مناظراته للإسماعيلية ، فقال : " وكم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة، فلم يتخطوا عن قولهم : أفنحتاج إليك؟ أو نسمع هذا منك؟ أو نتعلم عنك؟ "(19).
وعلى كل فلا تزال هذه المسألة تحتاج إلى مزيد من التوثيق والبحث ، ولعل الاطلاع على الكتب الخطية للشهرستاني يعطي مزيداً من المعلومات حول هذه المسألة.
وفي ختام الحديث عن شخصية الشهرستاني: لابد من الإشارة إلى ميل الشهرستاني إلى التشيع ، وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا بقوله : " وبالجملة فالشهرستاني يظهر الميل إلى الشيعة إما بباطنه ، وإما مداهنة لهم ، فإن هذا الكتاب -كتاب (الملل والنحل)-صنفه لرئيس من رؤسائهم ، وكانت له ولاية ديوانية ، وكان للشهرستاني مقصود في استعطافه له ، وكذلك صنف له كتاب (المصارعة) "(20).
وهذا الأمير الشيعي الذي من أجله ألف الشهرستاني كتابيه : "الملل والنحل" ، و"المصارعة" هو علي بن جعفر الموسوي ، وكان أميراً في خراسان (21).
وقد صرح الشهرستاني بذلك ، فقال في مقدمة كتابه (مصارعة الفلاسفة)-بعد إطراء ومدح طويل لهذا الأمير الشيعي-: "انتدب أصغر خدمه محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، لعرض بضاعته المزجاة على سوق كرمه ، فخدمه بكتاب صنفه في بيان الملل والنحل ، على تردد القلب بين الوجل والخجل ، فأنعم بالقبول ، وأنعم النظر فيه"(22).
ويظهر تشيع الشهرستاني عندما يقول: "وبالجملة كان على -رضي الله عنه- مع الحق، والحق معه"(23)، وقد علق شيخ الإسلام على هذه العبارة.. فكان مما قاله :
"هذا الكلام مما يبين تحامل الشهرستاني في هذا الكتاب مع الشيعة، وإلا فقد ذكر أبا بكر وعمر وعثمان، ولم يذكر من أحوالهم أن الحق معهم دون من خالفهم ، وهذا التخصيص لا يقوله أحد من المسلمين غير الشيعة "(24).
وقد كذّب شيخُ الإسلام الشهرستانيَّ في بعض آرائه التي تدل على تشيعه ، وناقشها وبسط القول فيها، فكذبه ابن تيميه مثلاً في دعواه أن عمر -رضي الله عنه-في خلافته ردَّ السبايا والأموال لمانعي الزكاة(25)، كما كذبه في دعواه اختلاف الناس على خلافة عثمان -رضي الله عنه-(26).
وعلى كل :فإن الإنصاف والعدل يجعلنا نذكر لك أن الشهرستاني له شىء من الردود على مطاعن الشيعة في الصحابة(27) ، مع أن الرد والمناقشة ليست من منهجه في كتاب "الملل والنحل" كما سيأتي، كما أنه يصفهم بالحيرة والضياع(28).
وربما كان هذا التذبذب من أجل إرضاء الطرفين ، أهل السنة والشيعة، والله أعلم.

وأما كتابه (الملل والنحل) والذي طبع عدة مرات ، واعتنى به كثير من المحققين ، وترجم إلى عدة لغات ، فإنه يعتبر موسوعة جامعة وموجزة لمختلف المقالات والملل والأهواء والنحل.
وقد اعتنى الشهرستاني فيه بحسن الترتيب ، وجودة التنظيم وعرض المعلومات ، يقول السبكي:"وهو (أي: كتاب الملل والنِّحل) عندي خير كتابٍ صنف في هذا الباب ، ومصنف ابن حزم (يعني: الِفصَل) وإن كان أبسط منه ، إلا أنه مبدد ليس له نظام"(29).
ويذكر شيخ الإسلام أن هذا الكتاب:"أجمع ، من أكثر الكتب المصنفة في المقالات ، وأجود نقلاً "(30).
وتميز المؤلف بمنهجية في البحث ، وأسلوب محكم في التصنيف ، ويظهر هذا جلياً أثناء عرضه للمقدمات الخمس المهمة، قبل الشروع في الكتاب ، فقد ذكر في المقدمة الأولى: تقسيم أهل العالم ، فعرض من الأقوال في ذلك ، وبين أنهم يقسمون في هذا الكتاب حسب آرائهم ومذاهبهم إلى قسمين :
1 - أرباب الديانات والملل مطلقاً ، كالمسلمين وأهل الكتاب والمجوس.
2 - أهل الأهواء والنحل كالفلاسفة والدهرية وعبدة الكواكب.
وكانت المقدمة الثانية : في تعيين قانون يبنى عليه تعدد الفرق الإسلامية، حيث حصر مسائل الخلاف بين الفرقة الإسلامية في أربعة أصول ، وهي :
1 -التوحيد والصفات.
2 - القدر وما يلحق به.
3 - الوعد والوعيد ، والأسماء والأحكام.
4 -السمع والعقل والرسالة و الإمامة.
ثم توصل إلى تحديد أصول أو كبار الفرق الإسلامية ، وهي :
1 - القدرية.
2 - الصفاتية.
3- الخوارج.
4 - الشيعة.
وأشار الشهرستاني إلى طريقته في ترتيب الفرق ، وهي: أن يضع للرجال وأصحاب المقالات أصولاً، ثم يورد مذاهبهم في كل مسألة.
ثم ذكر الشهرستاني في شرطه في إيراد الفرق ، فقال:"وشرطي على نفسي: أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم ، من غير تعصب لهم ، ولا كسر عليهم ، دون أن أبين صحيحه من فاسده"(31).
ومع ذلك فلا يخلو كتابه من بعض الردود والمناقشات والإشارات النقدية(32) من مزايا هذا الكتاب: أنه يعرِّف بالفرق ابتداءً ، ثم يورد الأصول التي اتفقت عليها إحدى الفرق الإسلامية الكبار ، ثُم يذكر ما يختص بكل طائفة من طوائف هذه الفرقة(33).

ويهتم الكتاب بذكر أبرز رجال بعض الفرق ، وذلك عند نهاية الحديث عن إحدى الفرق(34).
وكتاب (الملل والنحل) مرجع جيد في معرفة أقوال الأشاعرة والفلاسفة ، كما يقول ابن تيمية :
"ولما كان (الشهرستاني) خبيراً بقول الأشاعرة وقول ابن سينا ونحوه من الفلاسفة، كان أجود ما نقله قول هاتين الطائفتين"(35).
وأما مصادر هذا الكتاب في الحديث عن الفرق الإسلامية، فيقول ابن تيميه :
" ما ينقله الشهرستاني وأمثاله من المصنفين في الملل والنحل ، عامته مما ينقله بعضهم عن بعض ، وكثير من ذلك لم يحرر أقوال المنقول عنهم ، ولم يذكر الإسناد في عامة ما ينقله ، بل هو ينقل من كتب من صنف المقالات قبله ، مثل: أبي عيسى الوراق، وهو من المصنفين للرافضة، المتهمين في كثير مما ينقلونه ، ومثل: أبي يحيى وغيرهما من الشيعة، وينقل أيضاً من كتب بعض الزيدية والمعتزلة الطاعنين في كثير من الصحابة(36).
ويقول في موضع آخر: "والشهرستاني أكثر ما ينقله من المقالات من كتب المعتزلة"(37) ، حيث " أنهم من أكثر الطوائف وأولها تصنيفاً في هذا الباب"(38).
ويظهر جلياً كثرة نقل الشهرستاني عن المعتزلة، فهو ينقل مثلاً عن الكعبي (المعتزلي)(39)، وربما نقل عن الوراق (40) وغيرهما، وإن كان ينقل أحياناً عن الأشعري(41)، كما أنه ينقل عن أشخاص آخرين ، وقد يذكر كتباً غير موجودة - الآن - وينقل عنها ، مثل:كتاب"عذاب القبر"لابن كرام ، وكتاب في مقالات الخوارج للحسين الكرابيسي، وكثيراً ماينقل الشهرستاني الأقوال دون عزو إلى مصادرها، وقد يترجم بعض الكلام فينقله من الأعجمية إلى العربية، كما فعل بما كتبه أحد الباطنيين(42).
وعندما نتحدث عن المآخذ على هذا الكتاب ، فمنها: عدم اشتراطه نقد الفرق المنحرفة، والرد عليها، والمسلم مطالب بنصرة الحق والدعوة إليه ، ورد الباطل والتحذير منه ، فأهل الاستقامة يحبون الحق ويعرفونه ، كما يرحمون الخلق فيدعونهم للخير، وربما كان هذا الشرط الذي اشترطه الشهرستاني على نفسه سبباً في رميه ببعض الاتهامات(43).
ومأخذ آخر وهو: نقل الشهرستاني عن الشيعة والمعتزلة بلا تمحيص ولا توثيق ، وهذا ما أشار إليه ابن تيميه آنفاً ، ومن ثمَّ فإن كتابه يحوي أقوالاً لا زمام لها ولا خطام، ومثاله: ما ذكره في المقدمة الثالثة في أول كتابه ، حيث قال :
"في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة، ومن مصدرها في الأول ، ومن مظهرها في الآخرة "(44)، وقد بنى على هذه المناظرة الكثير من النتائج المهمة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على ذلك :

"فهذه الشبهة التي ذكرها الشهرستاني في أول كتابه(الملل والنحل) عن إبليس في مناظرته للملائكة لا تعلم إلا بالنقل ، وهو لم يذكر لها إسناداً، بل لا إسناد لها أصلاً، فإن هذه لم تنقل عن النبى -صلى الله عليه وسلم-، ولا عن أحد من الصحابة، ولا عن أئمة المسلمين المشهورين ، ولا هى أيضاً مما هو معلوم عند أهل الكتاب"(45).

وقد عرض شيخ الإسلام لكثير من الأقوال التي أوردها الشهرستاني، ونقدها (46)، ويظهر أن الشهرستاني قليل المعرفة بالحديث ، وقد تعقَّبه شيخ الإسلام في عدة مواضع(47)، يقول:"والشهرستاني لا خبرة له بالحديث وآثار الصحابة و التابعين"(48).

ومأخذ ثالث - وهو وثيق الصلة بما سبق -، وهو:أن الشهرستاني مع كثرة ذكره للمقالات وأقوال أهل الديانات وأهل الأهواء، إلا أنه لم ينقل مذهب الصحابة وسلف الأُمة ، لا تعمداً منه لتركه ، بل لأنه لم يعرفه ، وذلك لقلة خبرته بنصوص الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه والتابعين.

وفي الختام: أرجو أن أكون قد وفقت في بيان شيء من المعلومات عن هذا المتكلم وكتابه، ونسأل الله -عز وجل- أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه ، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

الهوامش:

ا - توجد رسالة علمية في مصر عن الشهرستاني وآرائه الكلامية والفلسفية لسهير مختار، وهناك رسالة علمية سجلت أخيراً بجامعة الإمام محمد بن مسعود عن الشهرستاني ومنهجه في (الملل والنحل).

2-سير أعلام النبلاء للذهبي 20/287

3 - وقد ذكرت د. سهير مختار هذه القصة في تحقيقها لكتاب مصارعة الفلاسفة للشهرستاني. فقالت:"وهي في شرح سورة يوسف ، وهو شرح لطيف مع تسجيل بعض الروايات عن الصوفية".

4 - انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء 20/286، وطبقات الشافعية للسبكي 6/128، وشذرات الذهب 4/149، وانظر مقدمة كتاب مصارعة الفلاسفة بتحقيق د. سهير مختار.

5 - سير أعلام النبلاء 20/287-288، وطبقات الشافعية للسبكي 6/13.

6 - شذرات الذهب 4/149.

7 - درء تعارض العقل والنقل 173/5.

8 - كتابا ابن السمعاني.

9 - طبقات الشافعية للسبكي 130/6.

10 - منهاج السنة 305/6.

11 -درء تعارض العقل والنقل 8/5.

1 2 - إغاثة اللهفان 2/ 1 38، وانظر مقدمة الشهرستاني لكتابه (مصارعة الفلاسفة)، ص 6 1 ، وانظر كتابه نهاية الإقدام ، ص 5، ص 33، كما أن كتاب (نهاية الإقدام) قد تضمن ردوداً على عموم الفلاسفة، والدهرية ، و المعتزلة.
13 -انظر الملل والنحل للشهرستاني 191/1 - 198، تحقيق محمد سيد كيلاني.
1 4 - انظر الفرق بين الفرق ، ص 1 28 - 2 31..
1 5 - درء تعارض العقل والنقل 2/307، 67/9، وانظر المنهاج 5/268و 6/303و319.
16 - الملل والنحل 1/173.
17 - هناك من أصحاب المقالات من يفصل بين الإسماعيلية والشيعة، وهناك من يجعل الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة، كما يفعل الشهرستاني.
18 - لسان الميزان 264/5.
19 - الملل والنحل 197/1.
20 - منهاج السنة 306/6.
21 -انظر ترجمته في طبقات أعلام الشيعة لآغابزرك الطهراني 182/6 ، وانظر مقدمة (المصارعة)ص13.
22 - مصارعة الفلاسفة، ص 14.
23 - الملل والنحل 27/1، ومرة يقول:"لقد كان علي على الحق في جميع أحواله ، يدور الحق معه حيث دار) الملل والنحل 103/1.
2 4 - منهاج السنة 362/6 باختصار.
2 5 - انظر منهاج السنة 347/6.
26 - المصدر السابق 6/ 350.
27 - انظر، الملل والنحل1/164، 65 1.
2 8 - المصدر السابق 172/1 ، وانظر 93/1. يقول الشهرستاني في "نهاية الإقدام": اعلم أن الإمامة ليست من أصول الاعتقاد، بحيث يفضي النظر فيها إلى قطع ويقين بالتعين" ص 478 ،وذلك أن هذا الكلام رد على الشيعة الإمامية.
2 9 - طبقات الشافعية 6/128.
30 - منهاج السنة 304/6.
31 - الملل والنحل 1/16.
32 - انظر الملل والنحل1/64و83و141و147.
33 - المصدر السابق 1/43و46و115و146.
34 - المصدر السابق 1/137،(رجال الخوارج)، 6 4 1 ،(رجال المرجئة)، 9 0 1 (رجال الشيعة).

35 - منهاج. السنة 304/6، وانظر كلام د. سامي النشار عن هذا الكتاب في كتابه نشأة الفكر الفلسفى 525/1.
36 - المصدر السابق 300/6.
37 - منهاج السنة 6/307.
38 - الفتاوى 115/8.
39-انظر الملل والنحل 55،4/ا 6،67،0 7،75،0 9
40 - انظر الملل والنحل 1/184، 87 1.
41 - المصدر السابق 1/73و105و129.
42 - المصدر السابق 195/1.
43 - انظر مثلاً عرضه لمذهب النصيرية 1/188.
44 - الملل والنحل 1/16و20.
45 - منهاج السنة 306/6.
46 - انظر مثلاً المنهاج 318/6، 324، 347، 350..
47 - انظر المنهاج 3/6 32، ودرء تعارض العقل والنقل 32/3 1.
48 - منهاج السنة 9/6 1 3.

في الدعوة والعمل

حتى يكون المسار سليماً والعمل مثمراً

محمد بن عامر الثوباني

أعظم منة من الله تبارك وتعالى علـى الـعـبد هي: أن يهيئ له الأسباب ، ليكون من حملة هذا الدين ، وممن يبذلون الغالي والنفيس ، لإقـامة حكم الله في الأرض ، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، تلك الـمـنزلـة الـتـي هــى أشرف المنازل ، وأعلى المقامات ، منزل المرسلين وسبيلهم ، عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولاشك أن الداعية إلى الله تعالى هو صفوة الله وخيرته من خلقه ، أحب لله فهو أحب أهل الأرض إلى الله، وأجاب دعوة الله ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه، فعمله أفضل الأعمال وأزكاها، وكلامه أعذب الكلام وأطيبه ، لأن كلمة الدعوة هى أحسن كلمة تقال في الأرض وتصعد في مـقـدمــة الـكـلــم الطيب إلى السماء، وقد ذكر ربنا ذلك في أوجز عبارة وأصدق بيان:((ومـَـنْ أَحْـسَــنُ قَــوْلاً مِّــمَّــن دَعَــا إلَى اللَّهِ وعَـمِـلَ صَـالِـحـاً وقَـالَ إنَّنِي مِـنَ المُسْلِمِينَ)) [فصلت:33].

قال الحسن البصري-رحمه الله-بعد تلاوة هذه الآية:"هذا حبيب الله ، هذا وليّ الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب أهل الأرض إلى الله ، أجاب

الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته ، وقال: ((إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ))(1).
ولأن الأمر بهذه المنزلة وبهذا السمو ؛ فإنه لابد لأي داعية يريد وجه الله والدار الآخرة أن تتضح عنده أمور، حتى يكون المسار سليماً، والعمل مثمراً، ومن هذه الأمور ما يلي :

أولاً - سلامة القصد والغاية:

فمقصود الداعية وغايته: إعلاء كلمة الله ، وتحكيم شريعة الله في الأرض ، وليس لشخصه ولا لقومه ، أو جنسه ، أو عشيرته ، أو قبيلته ، حظٌّ في ذلك ولا نصيب ، وإنما الأمر لله ، والعمل من أجل الله ، ولهذا نلحظ في كتاب الله التركيز على هذا الأمر.((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلَى اللَّهِ))[يوسف:108] ، ((ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إلَى اللَّهِ))[فصلت:33]،((ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ)) [النحل:125].

إنها دعوة إلى الله وإلى سبيل الله فحسب ، دعوة تبيِّن للبشرية غاية خلقهم، وتعرفهم بربهم وخالقهم ورازقهم ، وتبين لهم كيف يكون الإنسان شريفاً بعبوديته لله ، وكيف يكون ذليلاً عندما يكون عبداً لغير الله ، تبين لهم كيف تكون الحرية والسؤدد والرفعة والمجد عندما يتحاكمون إلى شرع الله ، وكيف يكون الكبت والذل والصغار عندما يرضون بحكم الجاهلية، وقوانين البشر، وتخرصات أهل الزيغ والضلال ، من الفلاسفة والعقلانيين والوضعيين وغيرهم.

ثانياً - سلامة الوصول والطريق الموصل إلى الغاية :

وطريق الداعية إلى الله ووسيلته هى طريق المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ووسيلته، فإنه أمر الخلق بكل ما أمر الله به ، ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه ، أمرهم بكل خير ونهاهم عن كل شر، ولم يأمر بشيء من عنده ولا نهى عن شيء من تلقاء نفسه، بل كل دعوته بإذن الله ، ولم يشرع ديناً لم يأذن به الله ، كما قال -عز وجل-:((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً))[الأحزاب:45، 46] ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " فالله أمر رسوله -صلى الله عليه وسلم- بالدعوة إلى الله تارة ، وتارة بالدعوة إلى سبيله ، كما قال تعالى:((ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ))، وذلك أنه قد علم أن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر، لابد فيما يدعو إليه من أمرين :
أحدهما:المقصود المراد.
والثاني:الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود ، فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى الله ، وتارة إلى سبيله ، فإنه سبحانه هو المعبود المراد المقصود بالدعوة"(2).

ثالثاً - البصيرة في الدعوة:

لكي يحقق الداعية الغاية والمقصود، ويسلم سبيله في الدعوة من الالتواءات والانحرافات، ولكى يسلك سبيل الله ويدع السبل المتفرقة، فلابد من العلم والبصيرة في الدعوة إلى الله تعالى:((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي وسُبْحَانَ اللَّهِ ومَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ)). والبصيرة هي العلم ، علم بالله وبسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ، علم يجعل صاحبه وقافاً عند حدود الله ، طالباً للحق مذعناً له متى ظهر وإن خالف هواه، علم يجلو القلوب من أصدائها ويزرع فيها تقوى الله وخشيته وحب الله وحب رسوله ، وحب عباده المؤمنين وحب العمل الذي يقرب إلى حب الله ورسوله.

رابعاً - الفقه في الدعوة إلى الله :

1 -معرفة أحوال المخاطبين والمدعوين ، فإن معرفة أحوالهم مما يعين على اختيار الطريق المناسب ، ووضع الأمور في مواضعها، قال تعالى:((ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) ؛ قال ابن القيم-رحمه الله تعالى - حول هذه الآية:

"ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام ، بحسب حال المدعو، فإنه إما أن يكون طالباً للحق ، محباً له ، مؤثراً له على غيره إذا عرفه ، فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال ، وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق ، لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب ، وإما أن يكون معانداً معارضاً فهذا يجادل بالتي هى أحسن ، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجِلاد إن امكن"(3).

فإذن في الناس من تكون الحكمة أبلغ في دعوته من سواها، والحكمة شأنها عظيم، وقد جاءت في الآية السابقة مستقلة واضحة كالشمس لا تحتاج إلى مزيد بيان وتوضيح ، بخلال الموعظة والجدال ، فقد جاءا موصوفين ، الموعظة بأنها الموعظة الحسنة، والجدال بأنه بالتي هى أحسن ، ومن المهم أن نعرف أن الشدة في بعض الأمور ولبعض الناس هى من الحكمة، وفى الحكمة سر عظيم ، وخير عميم ،((ومَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً)).وبعض الدعاة يبالغ في اصطياد الحكمة، فيذهب الوقت عليه بين مد وجزر، حتى يفلت الأمر من يده قبل أن يبلغ الحكمة أو يقرب منها، وبعضهم يأخذه الحماس والغيرة والاندفاع ، فيتجاوز الحكمة بمسافات بعيدة.

وفى الناس من تدخل قلوبهم الموعظة الحسنة، وتأسر مشاعرهم وتتعمق فيها بلطف، ولكن يجب أن تكون حسنة في ألفاظها وفى معانيها ، تجعل القلوب تتوق وتتشوق إلى ما عند الله ، فتنقاد إلى سبيل المؤمنين لتفوز بالجنة، كما يجب وهى تحذر من عواقب العصيان ، وسوء منقلبه ، أن تكون حسنة ، لا فجاجة فيها ولا غلظة ، ولا تقبيح فيها ولاتأنيب في غير موجب ، فتعود القلوب الشاردة وتحيا القلوب المريضة بالموعظة الحسنة.

وفيهم من يأسرهم الجدال ، عندما يكون الجدال بالتي هى أحسن -بصيغة التفضيل أحسن -لأن الأمر خطير وحساس ، يقول سيد قطب-رحمه الله-:
" فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق ، حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها عند الناس ، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها في سبيل الله ، لا في سبيل ذاته ، ونصرة رأيه ، وهزيمة الرأي الآخر "(4).
2 - أن يكون عنوان الداعية هو:طلب الحق ، فإن وفق إليه لزمه وانتصر له ، وإن تبين له مجانبة الصواب في أي مسألة من مسائل الشرع ، أو أي أسلوب أو منهج ، قبِل النصح وعاد إلى الصواب ، مرتاح البال مطمئن الضمير، فإن الأمر لله ولرسوله -صلى الله عليه وسلم-،((ومَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ ورَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)) [الأحزاب:136]، ولاشك أن الأمر عزيز المنال ، وأن الإذعان للحق مرتقى لايرتقيه كل الناس ، ولكن أهل التقوى والإخلاص - وهم قلة - يرتقون هذا المرتقى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم.
3-أن يعترف الداعية لأهل الفضل بفضلهم ، وأن لا يبخس الناس حقوقهم ، وأن لا يتعدى بأي هفوة أو زلة حجمها وقدرها الذي يجب أن لا تتعداه ، وأن يحذر تتبع العثرات والزلات ، عند العلماء والدعاة،

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نُبلاً أن تعد معايبه

4 -أن يكون الداعية على علم بواقعه المعاصر، وعلى دراية بحجم الجاهلية وقوتها وتبجحها واستهتارها، وأن يدرك المكر الذي يمكره أعداء الله ليلاً ونهاراً، لإخماد أي جذوة أو بصيص من نور تظهر في أي بقعة من العالم لإعلاء كلمة الله.
5-أن يكون صريحاً في كلامه ، واضحاً في منهجه وسلوكه ، متميزاً عن الجاهلية، معتزاً بدينه ، مترفعاً عن أن يساوم بشىء من دينه ، مستقلاً تماماً عن أنظمة الجاهلية، معرضاً عن الأنظمة المشبوهة، منتمياً لأولياء الله ، موالياً للمسلمين ، متبرئاً من المشركين، يقول بملء فيه:((إننى من المسلمين)) ، ويقول:((سُبْحَانَ اللَّهِ ومَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ)) ، وما أحسن كلام سيد -رحمه الله - حول قول الله تعالى:((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي)) ، يقول:
" وأصحاب الدعوة إلى الله لابد لهم من هذا التميز، لابد لهم أن يعلنوا أنهم أمة وحدهم، يفترقون عمّن لا يعتقد عقيدتهم ، ولا يسلك مسلكهم ، ولا يدين لقيادتهم ، ويتميزون ولا يختلطون! ولا يكفي أن يدعو أصحاب هذا الدين إلى

دينهم وهم متميعون في المجتمع الجاهلي ، فهذه الدعوة لا تؤدي شيئا ذا قيمة.. ثم يقول : والذين يظنون أنهم يصلون إلى شيء عن طريق التميع في المجتمع الجاهلي ، والأوضاع الجاهلية، والتدسس الناعم من خلال تلك المجتمعات ، ومن خلال هذه الأوضاع ، بالدعوة إلى الإسلام ، هؤلاء لا يدركون طبيعة هذه العقيدة، ولا كيف ينبغي أن تطرق القلوب! إن أصحاب المذاهب الإلحادية أنفسهم يكشفون عن عنوانهم وواجهتهم ووجهتهم! أفلا يعلن أصحاب الدعوة إلى الإسلام عن عنوانهم الخاص؟ وطريقهم الخاص؟ وسبيلهم التي تفترق تماماً عن سبيل الجاهلية؟"(5).

وبعد :

أخي الداعية ، لعل هذه الأمور لاتخفى عليك ، ولكنها الذكرى عسى أن تقابل لحظة قبول ، فتنتفع بها القلوب المؤمنة، هذا الذي نرجوه من الله ، والحمد لله أولاً وآخراً.

الهوامش:

1- ابن كثير،المجلد الرابع ،ص152.
2- الفتاوى15/162.
3- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.
4 - في ظلال القرآن4/2202.
5- في ظلال القرآن4/2034.

منبر الشباب

إحياء سنة مهجورة

هيثم حداد

إن الـتـنـاصـح بـين المسلمـين أمر مطلوب، حتى وإن كان الناصح مقصراً فيما ينصح به مع بـذلـه الجـهـد للامـتـثـال، وفي هـذه الـوريـقـات أذكـر نفـسـي وإخواني بسـنـة هجرت، فـفـات بهـجـرانها أجر عظيم ، وليت هجرها من عامة الناس ، بل من علمائهم وعبادهم ودعاتهم، فلا تكاد تر هنا إلا في النذر اليسير على أزمنة متفاوتة.

وهذه السنة هي:المكوث في المصلى بعد صلاة الغداة جماعةً ، حتى تطلع الشمس وترتفع، ثم أداء ركعتين.

فضلها:

قال الترمذي باب "ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس" ، ثم أورد بسنده عن أنس بن مالك-رحمه الله-قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر

الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين ، كانت له كأجر حجة وعمرة"، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "تامة ، تامة، تامة "(1).
وعن أبي أمامة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:»لأن أقعد أذكر الله تعالى وأكبره ، وأحمده وأسبحه ، وأهلله ، حتى تطلع الشمس ، أحب إلى من أن أعتق رقبتين أو أكثر من ولد إسماعيل ، ومن بعد العصر حتى تغرب الشمس : أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل " (2).

فعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- لها :

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال:"كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا صلى الفجر لم يقم من مجلسه حتى تمكنه الصلاة" ،وقال : "من صلى الصبح ثم جلس في مجلسه حتى تمكنه الصلاة، كان بمنزلة عمرة وحجة متقبلتين "(3).
وفى "صحيح مسلم" عن سماك بن حرب قال:قلت لجابر بن سمرة : أَكنت تجالس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ؟ قال : نعم ،كثيراً، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قام (4).
وهذا الحديث يدل في أقل أحواله على كثرة فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- لها، إن لم يكن فيه دلالة على مداومة الرسول عليها. إذ أن لفظ "كان" يفيد الاستمرار غالباً.

مسائل مختصرة تتعلق بهذه السنة :

الأولى : هل يختص المكوث بالمسجد أو المصلى أم لا؟

ظاهر الحديث يدل على أن السنة:المكوث في المصلى وعدم الانتقال منه إلى بيت أو نحوه، وعلى هذا تراجم العلماء أيضا، وقد سبق قول الترمذي في ترجمته لحديث الباب، ومثله ترجم النووي لحديث صحيح مسلم قال:"باب: فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد "(5)، وقال المناوي في "فيض القدير":"وفيه ندب القعود في المصلى بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس مع ذكر الله -عز وجل-"- ومثله قال المباركفوري.

الثانية : هل هاتان الركعتان هما سنة الضحى؟

ورد في حديث معاذ الجهني أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:"من قعد في مصلاه حين ينصرف من مصلاه الصبح حتى يسبح الضحى، لا يقول إلا خيراً، غفر الله له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر". أخرجه أبو داود، والبهيقي في السنن الكبرى 3/490، وترجم له بقوله: باب: من استحب أن لا يقوم من مصلاه حتى تطلع الشمس، فيصلي صلاة الضحى، ولكن هذا الحديث إسناده ضعيف (6).

كما أن ظاهر الأحاديث الواردة في هذه السنة لا يدل على أنها صلاة الضحى، ويؤيده: أن وقت السنة لصلاة الضحى كما قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-:"صـلاة الأوابين حين ترمض الفصال" أي: إذا وجد الفصيل - وهو ولد الإبل - حر الشمس ، ولا يكون ذلك إلا عـنـد ارتـفـاعـهـا، وهـذا الـوقـت لا يكون إلا بعد ارتفاع الشمس بمقدار أكبر من رمح أو رمحين، كما هو وقت أداء هذه السنة.

ثالثاً: متى تؤدى؟

من المعلوم أن الوقت بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وترتفع قيد رمح هو وقت نهي ، فعن عقبة بن عامر قال:"ثلاث ساعات كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينهانا أن نصلي فيهن أو أن نقبر فيهن موتانا ، حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع..." رواه مسلم رقم: 831..
وورد في أحاديث أخرى تحديد هذا الارتفاع بـ:(قيد رمح أو رمحين) كما في حديث عمرو بن عبسة ، وهنا لفظ أبي داود، ولفظ النسائي:"ندع الصلاة حتى ترتفع قيد رمح ويذهب شعاعها"(7).
فعلى هذا: يكون وقت أدائها بعد خروج وقت النهي وهو ارتفاع الشمس قيد رمح ، ولعل هذا معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر المتقدم:"من صلى الصبح، ثم جلس في مجلسه حتى تمكنه الصلاة"، وكذلك ما ورد في حديث جابر ابن سمرة:"كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر، تربَّع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناً" ، قال النووي : (هو بفـتـح الـسـين وبالـتـنـوين، أي: طلوعاً حسناً، أي: مرتفعة).

وقت مشهود للذكر :

قال النووي في "الأذكار" (باب:الحث على ذكر الله تعالى بعد صلاة الصبح)، ثم قال: اعلم أن أشرف أوقات الذكر في النهار: الذكر بعد صلاة الصبح. اهـ. ثم أورد حديث أنس المتقدم (8).
وفي هامش مختصر سنن أبي داود للمنذري:(قيل:وفي فعله فائدتان : أحدهما: الجلوس للذكر، فإنه وقت شريف ، وقد جاءت أحاديث في الذكر في ذلك الوقت. والثانية: أنه لما تعبد الإنسان لله -عز وجل- قبل طلوع الشمس ، لازم مكان التعبد إلى أن تنتهي حركات الساجدين للشمس إذا طلعت) (9).
وعن عمرو بن عبسة قال : قلت: يا رسول الله: هل من ساعة أقرب من الله -عز وجل- من الأخرى؟ أو:أَهَل من ساعة يبتغى ذكرها؟ قال : نعم ، إن أقرب ما يكون الرب -عز وجل- من العبد جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله -عز وجل-في تلك الساعة فكن ، فإن الصلاة محضورة مشهودة إلى طلوع الشمس ، فإنها تطلع بين قرني شيطان ، وهي ساعة صلاة الكفار، فدع الصلاة حتى ترتفع قيد رمح ، ويذهب شعاعها، ثم الصلاة

محضورة مشهودة حتى تعتدل الشمس اعتدال رمح..." الحديث. رواه أبو داود والنسائي ، وهذه رواية النسائي (10).
قال الشوكاني:(أي: تشهدها الملائكة ويحضرونها، وذلك أقرب إلى القبول والرحمة)(11).
ولعل الإمام ابن تيمية فقه هذا حقَّ الفقه ، يروي عنه تلميذه ابن القيم -رحمه الله: (كان إذا صلى الفجر يجلس في مكانه حتى يتعالى النار جداً، يقول: هذه غدوتي ، لو لم أتغد هذه الغدوة سقطت قواي)(12).
وما أعجب ما نقله البغوي وغيره عن علقمة بن قيس - وكان أشبه الناس سمتاً وهدياً بعبد الله بن مسعود -(13)قال:بلغنا أن الأرض تعج إلى الله من نومة العالم بعد صلاة الصبح (14).

هل نسير على خُطاهم؟ :

وبعد أن رأينا الأجر العظيم لهذه السنة، وحرص سلفنا على فعلها، استطرد هنا قائلاً:
إن كثيراً من الدعاة إلى الله فضلاً عن غيرهم في هذه الأيام يشكون كثيراً من الإحساس بنقص الإيمان وقسوة القلب ، فهم يبحثون دائماً عن علاج لهذا، وإذا نظرنا نظرة متجردة لأنفسنا ، فنجدنا تاركين لسنن كثيرة ، مع أن لها أثراً كبيراً في إحياء قلوبنا، في الوقت الذي نجدنا حريصين على سنن أخرى، لغرابتها بين الناس ، فهي تجلب الأنظار لفاعلها وتصف صاحبها بأنه متبع للسنة، مع سهولة أداءها، متعلقين بقولنا: (نشر السنة وإظهارها واجب...) ، أما السنة التي تشق علينا والتي لا تظهر غالباً للخلق والرقيب عليها هو الله فحسب ، فنحن متهاونون فيها تاركون لأكثرها.
فما هو مقدار حرصنا على صوم يومي الاثنين والخميس؟! ، وأكون صريحاً أكثر إن قلت: كم صمنا فعلاً هذين اليومين ؟ وما هو مقدار حرصنا على التبكر إلى الصلاة وحضور الصف الأول؟!، أم انشغال الدعاة بالأمور الهامة هو سبب امتلاء الصفوف الأخيرة بهم؟، وما هو؟.. وما هو؟.. وغير هذا كثير.
وختاماً: وبعد هذه الذكرى، فهل سنرى الأمر تغير وأصبحت المساجد تمتلىء بعمَّارها في هذا الوقت؟ ، أم هل ستكون هذه الذكرى مجرد (علم) أضفناه إلى (علمنا) أو موعظة جديدة نخاطب بها الآخرين وننسى أنفسنا؟.

الهوامش:

1- رواه الترمذي في1/482و2/586 ،وقال: حديث حسن غريب ، وهو حديث حسن،حسنه غير واحد منهم: الألباني والأرناؤوط وغيرهم.
2- في الترغيب والترهيب 294/1، رواه أحمد بإسناد حسن ، كما حسنه الألباني في صحيح الترغيب و الترهيب.

3- قال المنذري في الترغيب والترهيب 292/1 :رواه الطبراني في الأوسط ورواته ثقات، إلا الفضل بن الموفق ففيه كلام ،وحسنه الألباني في صحيح الترغيب.
4- رواه مسلم 1/463، رقم670 - طبع عبد الباقى.
5- النووي على مسلم 5/170.
6- قاله المعلق على جامع الأصول 400/9.
7- الروايات مفصلة في جامع الأصول5/258رقم3338
8- الأذكار للنووى / 70.
9- مختصر سنن أبي داود بتعليق الفقي وشاكر 201/7.
10- راجع جامع الأصول 257/5.
11- النيل 3/ 90 .
12- الرد لابن ناصر الدين.
13- انظر ترجمته.
14- شرح السنة للبغوى 222/3.

شذرات وقطوف

التحفظ والاحتراز من أكل الحرام... ولكن!!

إعداد : طارق خليل الأسود

ومن العجب أن الإنسان يهون عـلـيه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام ، والظلم ، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النـظـر المحرم، وغير ذلك،ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه!! حتى يرى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً ينزل منها أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، لا يبالي ما يقول.

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي /54
ابن القيم الجوزية

تصيد الأخطاء

قال الإمام الشعبي:"لو أصبت تسعاً وتسعين ، وأخـطـأت واحــدة:لأخذوا الواحدة وتركوا الـتـسع والتسعين " ؛ وإذا تبين هذا: عُلم أن مجرد تصيد الأخطـاء، وتـتـبـع الـعـثـرات، والبحـث عـن الهفــوات ، كل ذلك مع التغافل عن الحسنات ، دليلٌ على فساد القصد ، وسوء الطوية ، وقلة الدين.

منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم /34
أحمد بن عبدالله الصويان.

أيهما أعظم؟!

كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها "ذات أنواط" فقال بعض الناس: يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟؛فقال -صلى الله عليه وسلم-:» "الله أكبر، قلتم كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، إنـهـا الـسـنـن، لـتـركبن سنن من كان قبلكم«" . فأنكر النبي-صلى الله عليه وسلم- مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلقين عليها سلاحهم ، فكيف بما هو أطم مِن ذلك ، من مشابهتهم المشركين أو هو الشرك بعينه؟ أيهما أعظم - يا ترى - شجرة يعلق عليها سلاحٌ نُهي عنها لأن فيها اقتداء بفعل الكفار، أم نـظـام حـيــاة فيه التشريع والتحليل والتحريم والإلزام والعقوبة على المخالفة؟!

الولاء والبراء في الإسلام /326

د. محمد سعيد القحطاني

بالراعي تصلح الرعية ، وبالعدل تمتلك البرية، ومن عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه، والظلم مسلبة النعم ومجلبة النقم،وأقرب الأشباه صرعة الظلم،وأنفذ السهام دعوة المظلوم .

الجوهر النفيس في سياسة الرئيس

ابن الحداد

البيان الأدبي

المنهج العلمي عند طه حسين بين الدعوى والتطبيق

د. عبد الله الخلف

يحاول طه حسين أن يشعر قراءه بأنه باحث محقق، لا يقبل بشيء ، ولا يسلم به إلا بعد بذل غاية الجهد في التحقيق والنقد والتحليل، فـهـو يقـول بـعـد أن ينعي على القدماء من الأدباء طريقهم (1):" أما نحن فأشد من هؤلاء القدماء طمعاً، وأكثر منهم تحفظاً، لا تكفينا أسماء الثقات من الرواة، ولا يكفينا جمال القصيدة وجــودة المقطوعة، وإنما نريد أن نتخذ كل شيء موضوعاً للبحث والنقد والتحقيق والتحليل".

ثم يقول (2):" فأنا لم أفهم الأدب العربي كما كان يفهــمــه القدماء، وكما لا يزال يفهمه أنصار القديم من أدباء اليوم ، وأنـا لا أحكم على الظواهر الأدبـيــة كما كان يحكم عليها القدماء، وكما لا يزال يحكم عليها شـيــوخ الأدب في أيامنا، وإنما أفـهـــم الأدب العربـي وأحكم على ظواهره كما ينبغي

أن يفهمه ويـحـكم على ظواهره رجلٌ يـعـيش فـي الـقـــرن العشرين ، ويفهم كما يفهم أهل هذا القرن".
ومن الواضح أنه يحيط نفسه بهالة علمية إبداعيـة ، ويحاول أن يحيط قارئه بمناخ يهيئه به لقبول ما يلقيه إليه ، فهو يحاصره ويخيره بـين أن يسلم بما يصل إليه من نتائج بنيت على هذا المنهج العلمي الجديد الذي يبدو وكـأنـه ابتكـــره واحتكره ، وبين أن يرضى بأن يوصم بالسذاجة، وعدم القدرة على مسايرة مناهج البحث الحديثة.
وغني عن القول أنه ليس لباحث منصف أن يرفض البحث والنقد والتحقيق والتحليل في قضايا الأدب والتاريخ ؛ إذا كانت الغاية من ذلك الوصول إلى الحقيقة، ولكن طه حسين لم يطبق ما دعا إليه ، ولم يف بالعهد الذي قطعه على نفسه ، على الرغم من أنه تمكن من إيهام كثير من القراء بذلك ، مما أتاح لكثير من الآراء التي طرحها، والنتائج التي وصل إليها أن تنتشر وتصبح كالمسلمات ، لا عند عامة المثقفين فحسب بل عند كثير من أساتذة الجامعات.
مما أغرى القراء بقبولها لجرأته ، وقدرته العجيبة في طرح الأفكار، ومهارته في صياغة آرائه صياغة توهم بأنها بنيت على أساس علمى متين.
ومن ذلك مثلاً : رأيه في تفسير ظاهرة غلبة الغزل على الشعر الحجازي في العصر الأموي، فهو يرى أن بلاد العرب بعد أن جاهدت في الاحتفاظ بالسلطان السياسي، وأخفقت في الجهاد إخفاقاً شنيعاً، وانتقل مركز الحكم منها إلى الشام ، كما انتقل مركز المعارضة إلى العراق ، انصرفت أو كادت تنصرف عن الاشتراك في الحياة العامة، وفرغت للحياة الخاصة، فانكبت على نفسها وأحست شيئاً من اليأس والحزن غير قليل ، وقد اجتمع إلى ذلك اليأس في حواضر الحجاز الثروة والغنى ، فنتج عنهما اللهو والإسراف فيه والعكوف عليه ، ومن هنا نشأ الغزل الإباحي (3)في مكة والمدينة، أما بادية الحجاز: فلم يظفر أهلها بما ظفر به أهل الحاضرة من الثروة، وحيث سلمت من ألوان الفساد التي كانت تغمر مكة والمدينة ، فقد أدى ذلك إلى الزهد الذي كان الغزل العذري أثراً من آثاره(4).
وقد اشتهر هذا الرأي ، وتلقاه كثير من الدارسين بالقبول ، مع أننا لو طبقنا عليه المنهج الذي يدعي طه حسين أنه يبني عليه دراساته لوجدناه بعيداً عن الصواب.
فلكي نسلم بهذا الرأي لابد من إثبات أمرين أساسيين بني عليهما:
الأول : أن أهل الحجاز انصرفوا إلى اللهو وأسرفوا فيه ، وأن الفساد غمر مكة والمدينة.

والثاني: أن الغزل لم يظهر ولم يغلب على الشعر الحجازي إلا بعد أن أخفق أهل الحجاز في الاحتفاظ بسلطانهم السياسي، وانتقل مركز المعارضة منهم إلى العراق ، ومركز الحكم إلى الشام.
فالأمر الأول لا يمكن التسليم به إلا بأدلة ثابتة، وبراهين قوية، لأنه لا يمكن لعاقل أن يقبل القول بأن الفساد قد غمر ذلك المجتمع الذي ورث مجتمع الخلافة الراشدة، وعاش فيه كثير من الصحابة وأبنائهم وأحفادهم ، وشهد له الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالخيرية والفضل ، ومع أن طه حسين يدعي أنه سوف يبني آراءه على النقد والتحقيق والتحليل ، إلا أنه لم يعرض الأدلة الصحيحة ليثبت بها هذا الأمر، بل ألقى القول جزافاً، وكأنه حقيقة مسلمة لا يرقى إليها شك ، صحيح أن في كتاب "الأغاني" وغيره من كتب الأدب أخبار وحكايات تدل على وجود ذلك ، ولكن مثل تلك الأخبار لا يعتمد عليها في إثبات مثل هذا ا لأمر.
وطه حسين نفسه يسلم بذلك ، ويعترف بما حوته تلك الكتب من حكايات باطلة(5)، وبـنـــاء على ذلك أنكر أو شكك في وجود بعض الشخصيات التي ترجم لها صــاحــب "الأغاني" ، وأورد حولها كثيراً من الأخبار والأشعار(6)، بل إنه ذهب إلى ما هو أبعد مدىً من ذلك ، عندما ادعى أن معظم الشعر الجاهلي منحول ، على الرغم من أن كتب الأدب أطبقت على روايته والقبول به.
وإذا كـــان طــه حسين هنا يرى أن أهل الحجاز أسرفوا في اللهو والفساد ، فإنه يرى في موضع آخر من الكتاب نفسه (حديث الأربعاء) ما يناقض ذلك ، ويصرح بأن حياة شباب الحجاز كانت بريئة من الإثم والفحش إلى حد ما، وأن شباب الحجاز كان يلهو بمقدار، وكانت مكانته الدينية وخوفه من رقابة الخلفاء يعصمانه من مجاوزة الحدود(7).
ولعل في هذا دليلاً واضحاً على أن ما ذكره طه حسين من أن الفساد واللهو قد غمر مكة والمدينة قولٌ ألقى جزافاً دون أي دليل معقول ، على الرغم من أنه اتخذه أساساً بنى عليه رأيه في تفسير غلبة الغزل على الشعر الحجازي.
أما الأمر الثانى الذي بنى عليه هذا الرأي فإن التاريخ يدل على خلافه ، فمن المعلوم أن أهل الحجاز قامـــوا بدور كبير وأساسي في تصريف شؤون الدولة الإسلامية حتى انتهاء خلافة عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- سنة 73 هـ ، وقد كانوا العنصر الرئيسي في القيادة السياسية والعسكرية، إذ أن معظم الذين تولوا الولايات أو قادوا الجيوش في عهد "معاوية" و"يزيد" كانوا من أهل الحجاز، وانتقال الخلافة في عهد معاوية إلى الشام ليس مبرراً للقول بأن أهل الحجاز قد انصرفوا عن المشاركة في شؤون الحكم يائسين ، فقد كانوا يرون في خلافة معاوية مرحلة مؤقتة يمكن أن تنتهى في أي وقت ، ثم يستلم الخلافة قائدٌ آخر من قادة الأمة الذين كان معظمهم في ذلك الوقت في

الحجاز، لذلك أعلن بعضهم عن معارضة إسناد ولاية العهد ليزيد، ولم يسلموا بها، ثم ثاروا عليه ، ثم عادت الخلافة إلى الحجاز مرة أخرى عندما بويع بها ابن الزبير -رضي الله عنه- ، ونازعه في ذلك رجل من أهل الحجاز أيضاً وهو مروان ثم ابنه عبد الملك.
ومن هذا يتبين أن الـقــول بأن أهل الحجاز انصرفوا عن. المشاركة في الحكم والسياسة لا يمكن القبول به ، ولاسيـمـــا في الفترة التي سبقت ، حيث يقول (8):"ولقد جاهد هذا الشباب الحجازي جهاداً عنيفاً في سبيل الاحتفاظ بمنزلته التي تركها له أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فما كانت ثورة ابن الزبير، وما كانت ثورة الحرة، وما كان خروج الحسين بن علي إلا مظاهر لهذا الجهاد، ولكن الشباب الحجازي لم يوفق ، وتمت الكلمة للاستبداد الأموي ، واضـطـــر أبناء الصحابة والخلفاء الراشدين إلى هذه الحياة الفارغة يحيونها في الحجاز"(9).
ولو بحثنا في حياة شعراء الغزل لوجدنا معظمهم قد بلغ الخمسين أو قاربها أو جاوزها سنة 73 هـ ، وعلى رأس هؤلاء عمر بن أبى ربيعة، ولاشك أنهم قد نظموا معظم شعرهم الغزلي قبل هذا العام ، وهذا يعني: أن ظاهرة الغزل كانت أسبق في الظهور من الأحداث التي جزم طه حسين بأنها كانت سبباً ونتيجة لوقوعها ، مما يسقط نظريته هذه جملة وتفصيلاً ، لأنه لا يمكن للظاهرة أن تسبق أسبابها.
ومما مضى: يتبين أن دعـــوة طـــه حـسـيـن إلى اتباع منهج يقوم على النقد والتحليل والتحقيق مجرد دعوى ادعاها ليوهم قراءه بأن آراءه مبنية على منهج علمي محكم ، وما عرضنا هنا ما هو إلا مثال واحــد من أمثلة كثيرة لآرائه ، مليئة بالأخطاء والتناقضات، ولكنها سارت بين الناس ، وأصبـحـت كـالـمـسـلـمات التي يحتج بها ويبنى عليها آراء ونظريات جديدة، وما ذلك إلا لأن صاحبها هو طه حسين.
وكثير من تلك الآراء يتضمن جوانب ذات تأثير فكري سيئ، وينطوي على التشكيك بالقيم والمبادىء والحقائق الثابتة، كما يتضمن تشويهاً لبعض معالم التاريخ الإسلامي بأساليب تبدو لغير المتمكن مقبولة ومقنعة، وقد يلقي فـي ثـنـايــا كلامه عبارات تنطوي على أمور خطيرة دون أن يشعر القارئ بأنه يتعمد ذلك ، أو أن لـــه من ورائه مقاصد سيئة.
ففي كلامه عن حياة البادية العربية بعد الإسلام يشير إلـى تعاليم الإسلام الجديدة التي منعت ما كان شائعاً في الجاهلية من الغارات والسلب والنهب ، ويعقب على ذلك بقوله (10):"وإذن فهذا نوعٌ آخرٌ من التضييق أحدثه الإسلام لهؤلاء الناس "، وإذن لقد حانت الحياة المادية عند أهل البادية بعد الإسلام شراً مما كانت عليه قبل الرسول "، وهو بهذا يطعن في النظام الإسلامي

ويرميه بالفشل في رفع الـمـسـتوى الاقتصادي لهؤلاء الناس،وفي موضع آخر يطعن في طريقة الصحابة في اختيار الخليفة ، فيقول(11):
"أجمع المسلمون أو كادوا يجمعون على هذا المذهب الغريب المتناقض الذي يجعل الخلافة وراثية لأنها في قريش ،وغير وراثية لأنهم أبعدوا عنها بني هاشم".
ويعلق على قبول الأنصار بخلافة أبي بكر -رضي الله عنه- بقوله (12):
"ولم يمض منهم في الإباء والمشادة إلا رجل واحد هو سعد بن عبادة الذي قتلته الجن فيما تزعم الأساطير، والذي قتلته السياسة غيلة في حقيقة الأمر، لأن حياته كانت خطراً على النظام السياسي الجديد ".
وهو بهذا يتهم عمر وكبار الصحابة رضوان الله عليهم بقتله لأنهم هم قادة الدولة وزعماء النظام السياسي.
ويصف المسلمين الأوائل الذين حملوا مبادئ الإسلام بالجـهــل عندما يوازن بينهم وبين الأمة الفرنسية أيام الثورة الفرنسية ، فيقول(3) :
"على أن تلاحظ الفرق بين الأمة الفرنسية التي كانت متحضرة مترفة عالمة بارعة في الفن حينما أحدثت ثورتها ، والأمة العربية التي كانت بادية ساذجــة جاهلة خشنة العيش عندما أحدثت ثورتها أيضاً" وهو لا يقصد عرب الجاهلية لأن كـلامــه هذا جاء في سياق الموازنة بين حملة مبادى الثورة الفرنسية وحملة ما يسميه بالثورة العربية .
مـثــل هذه العبارات التي تحمل هذه المضامين الخطيرة ترد في أثناء حديـثـه فـي بـعـض الموضوعات الأدبية على أنها أمور مسلمة ، مع أنه يعمل أنها تحمل من المعاني ما يصطدم كثير من الحقائق التي يزعم أنه يبحث عنها ، ويحاول الوصول إليها .
أفلا يحــق لـنـا بعد كل ذلك أن نقول إن طه حسين بدعوته إلى جعل كل شيء موضوعاً للبحث والنقد ، وعدم التسليم بما تضمنته كتب التراث من أخبار كان يقصد إلى التشكيك في الحقائق ، وإحقاق الأباطيل أكثر مما يقصد إلى إبطال الباطل وإحقاق الحق .

الهوامش:

1 - حديث الأربعاء 1/185.
2 - المصدر السابق 1/186.
3 - هكذا وصف طه حسين غزل عمر بن أبي ربيعة وغيره من شعراء مكة والمدينة ، مع أن هذه الصفة لا تكاد تنطبق إلا على جزء محدود من غزل عمر بن أبي ربيعة.
4 - حديث الأربعاء 1/188-190.
5 - انظر حديث الأربعاء1/184،191.
6 - مثل شخصية مجنون ليلى ووضاح اليمن.

7 - حديث الأربعاء 1/242.
8 - حديث الأربعاء 241/l.
9 - واضح أنه هنا يرى أن اضطرار أولئك الشباب إلى الانصراف إلى الحياة الفارغة لم يتم إلا بعد هذه الأحـــداث -أى :بعد عام 73هـ ، وبناء على رأيه فإن المفروض أن الغزل لم يظهر إلا بعد هذا العام ، لأنه كان تعبيراً عن تلك الحياة الفارغة.
10- حديث الأربعاء 1/221.
11- حديث الأربعاء1/262.
12- المصدر السابق1/262.
13- المصدر السابق1/223.

شعر

مَفَاتِح الإلهَام

عبد الستار الزعبي

قومـوا انـظـروا في هـذه الأيام حـجـاً يقام على مدى الأعوام
هو شعبةٌ من دينكم مـفـروضـة جـمـعـت شعوبَ العالم المترامي
الله حــــدد يــــومَـه ومـكـانَــهُ ودعا إلـيـه مُـشـرِّعُ الأحـكـام
فاستقبل الخَلْقُ الطَـهورُ دعاءهُ بالـحـبِّ والتـقـديـسِ والإعظام
خلعوا التباينَ في المظاهرِ بينهم وتـنـاسـقـوا بـمـلابـسِ الإحـرام
الله وحَّـــد جـمـعـهــم بـأخـوة حـلـت على الأرواحِ والأجـسام
وتجـمـعـوا وتزاحموا وتلاحموا مـداً وجـزراً هاج في القـمـقـام
فـكـأنـهـم مـوج يـمـد عقـيـبـه فـي قـــوة وتـــوثُّـــبٍ وضِـمــام
طافـوا طواف العاشـقـين بكعبة وقف الجمال بـبابـها البـسَّــام
طافوا بها سـبـعاً فطاف جمالها في الـكـون حتى خـلـتـها قدامي
فهممتُ بالحجر الكريم مزاحماً عـلّـي أفــوز بـقُـبـلــةِ الأحــلام
فافهم رموزَ الحجِّ فـهـي بليغةٌ إن الرمـــوز مـفـــاتـــحُ الإلـــهــام
وارقب علوَّهمو بـمـروة والـصـفا يـسـعـون سعي الـعـسـكر المقدام
فالسـعي نامـوسُ العلـوِّ بديـننا والـديـن فـيـنـا بـاعـثُ الإقـــدام
فـإذا رأيـتَ تخـلــفــاً فـمــرده جهـلُ الـشـعـوب بدينها المتسامي

قراءة في ديوان الشاعر خالد البيطار في أشواقه وأحلامه

عبد الله الطنطاوي

" أشواق وأحلام " هـو الـديـوان الثـانـي للشاعر الإسلامي الرقيق : خالد البيطار، وكان ديوانه الأول هو " أجل سيأتي الربيع " الـذي صـدر عـن دار عمار في عمان عام1985، وديوانه هذا صدر عن دار البشير في عمان عام 1988.

وخـلال هـذه الـمدة بين صدور الديوانين ، نظم الشاعر قصائد عدة تنتظر أن ترى النور في ديوان جديد يحمل همَّ الشاعر،وهمُّ الشاعر من هموم أمته ، يقلقه ويزعجه ويضنيه ما يرى من أشكال التخلـف والفقـر والجهل ، ويمضه ذلك الظلم الواقع على شعبه ، والقهر الذي يتربص بالأحرار أنى التفـت فـي دنيا العرب والمسلمين ، فيأسى على الحال البئيسة التي انتهت إليها مصائر شعوب أمتنا العربية المضطهدة المعذبة هنا وهناك.

الديوان :

يقع هذا الديوان في 120 صـفـحــة مــن القطع المتوسط ، ويحتوي على مقدمة وعلى سبع وعشرين قصيدة من رقيق الشعر، توزعت على مساحة زمنية امتدت منذ عام 1962 حيث باكورة شعره (من وحي الإسراء) وألقاهـا في حفل دار المعلمين ، ومن القصائد التي نظمها الشاعر قبل عام 1970 قصائد: (قيود الليـل)، و (يا شباب) و (طاغوت) ، وكلها تعبر عن إحساس الشاعر بما يعانيه المسلمون من تسـلـط الظالمين ، ومن تقصير المسلمين في التصدي لظلم الطواغيت وتجبر البغاة المجرمـيـن .. وهـكـذا تتالت قصائد الديوان حتى عام طبعه ونشره عام 1988.

أما المحاور التي انتظمت فيها فمـتـعـددة: فهناك المحور الممجد لأحداث عظام وقعت في تاريخنا الإسلامي (من وحي الإسراء) ، وهناك المحور السياسي الذي يتحدث عن الواقع الأليم لأبناء شعبنا وشعوب أمتنا التي تلقى الألاقي على أيدي الطواغيت : (قيود الليل ، طاغوت.... الخ).

وهناك الشعر الوجداني، مـا كــان منه في الغزل أو سواه من شوق إلى الديار التي غادرها مرغماً، والحنين إلى الأهل والصحب والتلاميذ والأساتذة والشيوخ الذين كتب عليه فراقهم ، وإلى المسجد الذي طالما سعى بين جنباته معلماً ومتعلماً.

شعر المناسبات :

وفى شعر المناسبات هذا، كان الشاعر يهتبل الفرصة ليبث أفكاره وهواتف قلبه للشباب ، محرضاً ومحمساً ، فيقول مثلاً في (من وحي الإسراء) :

يا إخوتي في الله طال ركـودنا فإلام نصبر والورى في نار؟
نار يؤججـهـا اللـعـيـن بكـيده ويؤزها فـتـزيـد في الإسـعـار
هيا إلى النصر الـعزيز وأوصدوا أبـواب كـل مـهـدم جـبـار
فاستمسكوا بالعروة الوثقى التي حـبكت عراهـا قـدرة الجبار

وفي قصيدة أخرى يراوح الشاعر بين الـمـاضـى والحاضر، وإحساس صاعق بالمأساة التي تعانيها أمته التي هاض جناحها طواغيت الأرض ، اسمعه وتأمل رمزه لواحد من البغاة:

بـسـط الـلـيـل علـيــنــا ظله وادعـى أن لـه حـقـا أصـيـلاً
هــو لـلـنـور عـــــدو فـــإذا ما رأى جذوتنا ارتاع ذهــولاً
وانـبـرى يحشـد من أجناده حشد فرعون ويزجيها سـيـولاً

وبعد هذا الرمز الواضح ، يقول في جرأة ووضوح:

عادت الأصنام للدنيا فلــن نرتضى عن وجه مولانا بديلاً
عادت الظلمة فانظر ليلـهـا جاثـمـاً لا يبـتـغي عنا رحيلاً
عادت العزى وهذا لحنـهـا في فـم الطاغي يغـنـيه جـذولاً
عادت اللات وهذا شيخها عاد مـهـذاراً وقـد مات ذليلاً

والحق أن هذه القصيدة من غرر القصائد الحماسية الصريحة الجريئة التي قيلت في عهدٍ ما كان يجرؤ على الكلام فيه سوى الدعاة المجاهدين، ولولا الإطالة في عجالة لاستشهدت بالعديد من الأبيات المقاتلات منها.

شعره السياسي :

وهو من ذلك القـبـيــل الذي تحدثنا عنه فيما أسميناه شعر المناسبات ، فيه وصف لواقع الشعب ، وتنديد بالـقـعــدة والـمخلدين إلى الأرض ، اللاهثين وراء الحطام ، وفيه تحد للظالمين ، ودعوة إلى الثورة بهم لاجـتـثـــاث طغيانهم من الجذور، كي لا يبقى لهم في الوجود وجود، فإن قصيدة (قيود الليل) تذكرنا بقصيدة أو بأنشودة (يا ظلام السجن) التي كان ينشدها الأحرار في سوريا، إبان الانتداب الفرنسي عليها.

وفى (طاغوت) يخاطب إخوانه ويهيب بـهـم أن يـثـوروا، بعد أن شرح في إثارة، ما فعله الطاغوت بروضه:

يا إخوتي ماذا دهاكم فانهضوا ليس من أخلاقـنا هذي التعلة
نحـن من قـــوم إذا ما شـعـروا بحسيس الذل صالوا أي صولة
أعـلـنـوا الـحـق فـأنـتـم أهـلـه ولـئـن كنـتم أمـام الزحف قـلة

ألا ترون؟ إنه خطاب حماسي يؤجج المشاعر، ويذكي العواطف لتصير عواصف تعصف بالظلم و الظالمين.

ولن أزيد، فشعره السياسي كله ينهج هذا النهج الثائر على الظلم ، الرافض لأي مذلة، الداعي إلى التمرد والنضال ، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

شعره الوجداني :

أستطيع - ابتداء - أن أزعم ، بأن شاعرنا هذا هو شاعر الغربة والحنين. إنه يحيا غربة نفسية مدمرة، ويعاني من غربة الجسد عن مراتع الـصـبــا، عـن حمــص ، عــن الديـار الحبيبة، عن الأهل والصحب ، عن المسجد والمنبر، فقد

تقطعت الحبال ، ولم يـعـد إلـى التواصل من سبيل سوى سبيل الرؤى والأشواق والأحلام التي عبر عنها بأرق المشاعر التي صاحبت كلماته وكانت أرواحها ودماءها، حتى إن قارئه ليعيش في عوالمٍ حالمٌ من الطهر الطهور، بعد أن خلصه اغترابه من كل درن قد يسيء إلى عوالمه الروحانية، وبعد أن أصفاه حنينه ليكون مصطفاه إلى كل ما فيه سمو وسموق وشموخ.

لـئـن طـال عـن أرضـي ابـتـعـادي سـأبـقـى وفـيـاً أسـتـعـد وأرقب
فـإنـني أحن إلى ساحاتها ودروبها إلى روضها يزهو عطاءً ويخصب

إنه يحن إلى عصافير حمص في ملاعبها فوق الشجيرات ، إلى عاصيها الذي ينساب وسط سـهـولهـا في دل ، إلى أزهارها ونسائمها، إذا نام زاره طيفها، وإذا سبح بفكره عاودته ذكريات الأيام المواضي، فيطوف بأحياء المدينة التي يعشقها، يزور أخاه ، ويحدث جاره في حب ولهـفـة وود، ويمـر ببـيـتـه ويدلف إليه ويرف في أرجائه ، خصوصيات مؤثرة تذكرنا وتهيج ذكرياتنا وحنيناً إلى الربوع والأهل :

ولـى مـنـزل آلـيـت ألا أبـيـعـه وألا أرى غيري له الدهر مالكاً
كـم مـنزل في الأرض يألـفه الفتى وحـنـيـنه أبـداً لأول مـنـزل

واستمع إلى الشاعر وهو يتحدث في رؤاه عن مسجده ، لتعلم أي نمط من الناس هذا الشاعر وإخوانه ، هؤلاء الذين تتوزع دنـيـاهـم بـيـن مساجدهم وبيوتهم وتلاميذهم ، طهر ونقاء يجعلاننا نهتف : ماذا لو خلى الطغاة بين هؤلاء وبين أبناء شعبهم ومساجدهم ومدارسهم وحاراتهم؟ ، استمع إليه في حديثه الحالم :

وأغلق بيتي ثم أمضي لمسجدي وقـلـبـي مـن أشـواقـه يـتوثـب
وأدخله والـنـور يـمـلأ سـاحه ويبدو لي الخـط الجـمـيل المذهـب
وألمح محرابي وألـمح مـنـبـري وأشعر أني فوقه صرت أخـطـب
لقد عشت فيه الـعـمر إلا أقله وصار اسمه لى نسبة حين أنـسـب
لقد كنت آتيه فـيفـتح صـدره ويبـسـط كـفـيه ويحـنـو ويـحـدب
وها أنا من بعد الغـيـاب أزوره فهل في اشتياقي أو حنيني تعجب؟

ترى أي تعاطف وتمازج مع هذا الجماد الذي بث فيه روحاً من روحه ، وقد عشقه و هام فيه حتى أصبح نسباً له؟.
إنه يزوره في المنام ، ولسوف يصير المنام حقيقة وواقعاً- بإذن الله-.
في هذه القصيدة (أشواق وأحلام) التي حمل الديوان اسمها ما يلذ ويشوق، ما يثير ويهيج، ما يحزن ويؤلم ، وقد يظن بعض من لا يعرف الشاعر أنه قد ضعف ولان، فيأتي الجواب في ختام القصيدة تصميماً على الجهاد،ولن تقف في وجهه المعوقات،ولن تحرفه عن طريقه ، إلى أن يحكم الله بيننا بالحق:

وإن حنيني لا يفت عزيمتي ولكنه الحادي يهز ويجذب

لأن الشاعر مؤمن بالله ، واثق بنصره ، ولذلك فأنت :

لن تراني يائساً مستسلماً إن ظـنـي بـإلـهي حـسـن
لن ييأس الشاعر المؤمن ، لأنه لا ييأس من روح الله إلا الكافرون والجاحدون ، فبرغم المعاناة التي يلقاها ممن حوله يبقى الشاعر مطمئناً في جنب الله، لا تزعزعه الزعازع، استمع إلى أنينه وحرقته على دعوته :
وحولي أناس قساة القلوب جفاة إذا ضحكوا أفـزعـوا
ترى أي غربة روحية يحياها شاعرنا، شاعر الغربة والحنين ، شاعر الأشواق والأحلام؟
لقد كنت أكمم جرح الفؤاد وأحـسب كـتمانـه يـنفع
ولكن يبدو أنه صبر حتى طفح الكيل ونفد الصبر، فباح بما يعتمل في نفسه من أحزان ولوعة وحنين :
لقد طال بـعـدي وطـال اغـترا بـي ومـا لـي مـن حيلة أدفع
ربا (حمص) ألمحها من بعـيـ د فـإن الـحـواجــز لا تـمـنع
مـــســاجــدهـــا لا أزال أرا هـا كـمـا هـي نـيـرة تـسـطـع
وإنـي لأسـمـع صــــوت الأذا ن نـديـاً رخـيـمـاً كـمـا يـرفع
وفى (أيها العصفور) نجوى وأي نجوى، يبث العصفور آلام نفسه وأحزانها ، لماذا؟:
لا تسلني، فحديث الصحب عن أهل الشهيد
عــن ريــاض مـلـئـت بالشوك من بعد الورود
عـن أسـارانــا يـعـانـون من الـبـأس الـشـديد
سـلـط الـبـاغـي عليهم كـل شـيـطـان مــريـد
عـن شــريــدٍ.. آه لــو تـعـرف ما حال الشريد
لا تـسـلـني أيـهـا الـعـصـفـور عن سـر شرودي
أمــا قـصــيـدتـه (يا حادي الركب) فإنها من عيون شعرنا الإسلامي المعاصر، فيها براعة استهلال :
يا حادي الركب هل في القوم يقظان؟ لـبـى الـجـمـاد وما لباك إنسان
لو كان صوتك في الصحراء أعشـبـهـا وصار للصـخـرات الـصــم آذان
إنها صوت النذير العريان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :
إنى لأعـرف أرض الشـام مـنـجبة لم يخل يوماً من الأبطال ميدان
واليوم تسـتنجد الساحات صارخة فـلا تـرى أحداً، والبغي عريان
ويختم الشاعر المبدع قصيدته الرائعة هذه ببيان طريق النصر فيقول :
إن اسـتـقـمـنـا فـإن الله نـاصـرنــا عـلـى الطغاة الأفاعي أينما كانوا
وإن جـنـحـنا فـلا فــوز ولا فـــرج بـل اضـطــراب وآلام وأحـــزان
يا إخـوتي أنـتم الأعـلـون فانطلقـوا وأثـبـتـوا أنـكـــم فـي الله إخوان
ولا أستطيع في ختام هذه الفقرة إلا أن أشيد بقصيدته (دنيا الطفولة) التي كان فيها رساماً دقيق الملاحظة، ومصوراً متفنناً، وإلا أن أزعم أنها من فرائد

الشعر العربى الحديث، رسم فيها خطوات طفلته عائشة وهي في عامها الثالث ، كما رسم حركتها والحركة النفسية لأبويها في دقة وروعة وإبداع ، وختمها بهذه الخاتمة الجميلة في فكرتها وصياغتها وواقعيتها :

إن أتعبتك الليالي في تقلبها وضقت نفساً بما تلقاه من نوب
ورحت تطلب دنيا لا خداع بها بريئة من دواهي المكر والريب
فلن ترى غير دنيا الطفل خالصة من كل سوءٍ فلم تفسد ولم تَحُبِ

(دنيا الطفولة) تقف إلى جانب أختيها: (أب) للشاعر عمر بهاء الدين الأميري، وأبيات بدوي الجبل في (الليل الغريب) عن الطفولة، ولكلٍ مذاق.

الشاعر والغزل :

الأستاذ الشاعر خالد البيطار شاعر مشغول بدعوته ، يتحرك لها ويحرك قلمه ولسانه وعواطفه من أجلها، وهو مشغول بأمته ، يأسو جراحها، ويفرح لفرحها ويحزن لحزنها، فهل لديه وقت لنفسه وعواطفه؟

والجواب :

لاتعارض!؛((ولا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)) ، بعد أن قال الله تعالى: ((وابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ)).

والإسلام دين واقعي ، ولكنه يسعى دائماً إلى الارتفاع بأتباعه في عملية تصعيد جليل:»لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه« ، فالمسلم يحب نفسه ، ولكنه لا يقف عند حدود النفس وأنانيتها، وإنما يرتفع إلى هذه الغيرية الواقعية (ما يحب لنفسه).

والشاعر في غزله هنا يثبت أنه " الشاعر الملتزم قادر على صوغ عاطفته بعبارات تتناسب مع التزامه ومحافظته على جمال الشعر و سحره ".

ومن هذه القصائد ما يصف فيها حاله قبل الزواج، وهو غزل عفيف كما في قصيدة (لاهية) وكنت أتمنى لو أطلق عليها (شموخ) ؛ ففيها شموخ الشاب المسلم وعفته :

لكن من عرف الحقيقة وارتضى الإسلام دين
يأبى طريق العابثين وخطة المتبذلين
ويرى الحياة حقيرة بالعيش في ظل المجون

هذا هو مذهبه في الحياة، لم يحد عنه منذ شبابه الأول وحتى يوم الناس هذا.

و في (شاعر ، وذكريات، وهمسة من قلب ، ومعاناة، وغداً، وانتباه) : يصف فيها حال العاشقين وما يعانون من تباريح العشق والغرام ، ولكنه يبقى ذلك الشاعر الذي يطير بجناحين من تسامٍ وطهر، بعيداً عن تهالك العشاق وتبذل أصحاب الأدب المكشوف.

رمز :

وللشاعر قصيدة رمزية، هى غزلية في ظاهرها، ولكنها ترمز إلى شيء آخر في اسم هند، وعنوانها (لا تحسبيه) ، ويهديها إلى أحد إخوانه ، وقد استهلها بقوله :

لا الظل يشفيه ولا الورد فدواؤه بيديك يا هند
لا تحسبيه خان موثقه ما ضاع يوماً عنده العهد

وبعد تأكيد عهد المحبة والعشق لهند الرمز، يستطرد فيقول :

لكن أعيذك أن أراك ضحى بيد العذول فما له وعد
المكر ديدنه ومذهبه أتصدقين بأنه عبد؟
هل تجهلين خداع منطقه أوما بدا في لحنه القصد؟
أخشى عليك إذا رضيتِ به رهقاً، فلا صدق ولا ود

والشاعر يختم قصيدته الرائعة هذه بهذين البيتين البديعين :

يا هند لن نرضى سواك ولو ألقت بكل دلالها دَعْدُ
يا هند أنتِ اليومَ في سَعَةٍ فتخيري الأحبابَ يا هندُ

وفاء:

ومن باب الوفاء الذي عز في هذه الأيام ، قصيدة هامسة ناعمة كان شاعرنا قد أهداها إلى أخ له في الله ، رأى السهام الغادرة المريشة توجه إليه ، والصحب في تهاون عن نصرت، أكثرهم كان يجلس في صالة المتفرجين ، فحز ذلك في نفسه ، وأرسل إليه يصف حاله :

قد سامه الأصحاب من حوله ما عجز الأعداء عن سومه
وكل ما قاموا به هين لو قصر الأمر على ظلمه
كان يقضي وقته بينهم يعمل ، لا يسأل عن يومه
يجهد لا يسأل عن جهده يسقم ، لا يسأل عن سقمه
تمضي الليالى لا يرى بيته ولا يبالي الوهن في جسمه

ويختتمها بهذا البيت الذي ينعي الوفاء ويرثيه :

إن الوفاء اغتاله أهله لم يبق منه اليوم غير اسمه

الخاتمة:

الأستاذ خالد شاعر إنسان ، وإنسان شاعر، في كلماته نعومة، وفي أسلوبه وعباراته رقة، وفي صوره عذوبة، وفي موسيقاه وداعة، وفي معانيه طرافة، كانت تتسلل إلى القلب مغلفة بموسيقا نفسه الهادئة، حتى وهي تضم بين نغماتها ثورة قلب وتمرد وروح ، لتعبر عن امتلاك صاحبنا ناصية الشعر.
والشاعر-في كل ما شعر - حيي ، والحياء من الإيمان ، والحياء سمة من سمات الإنسان السوي ، ولهذا كنت تراه يتغزل على استحياء، يخفي في نفسه ما القوافي تصر أن تبده ، بل إنك تراه يتوارى خلف رؤاه وأحلامه التي عبرت عن رومانسية حالمة بغد أفضل ، تراها وفي وصفه للزهر، للشمس التي تلملم بقايا غلالاتها المشعة وهي تغادر أرضنا محملة بالأحزان والآلام مما

شهدته في دورتها اليومية، تراها في الدموع والآهات والحسرات ، في الغيبوبة والشرود والأشواق ، في نجوى الفؤاد، في الشغف ، في اليأس ، في الأمل ، في الحنين والاكتئاب والاغتراب ، في العودة ومنى النفس .

شؤون العالم الإسلامي

ما لم يقل عن هجرة اليهود

إن هـجـرة الـيـهـود السوفييت إلى فلسطين - كغيرها من الأزمات التي يتعرض لها العرب - تـكـشـف عن الـضـعـف والتخبط الذي يعصف بهم ، وتعطي الدليل على فقدان الهدف الواحد، والمنهج السليم الذي تعالج به المشاكل.
إن أي أمـة تـضـل عـن الهـدف؛ وتفتقد المنهج السليم تصبح غير قادرة على الاستفادة من المـاضـي، كمـا تـفـقـد الحساسية التي تنير لها المستقـبل، وعندما نذكر الأمة هنا لا نعني جمـيـع أفـرادها، بل نـقـصد من بيدهم الريادة واتخاذ القرارات التي يتوقف عليها مصير أمـتـهـم، وإلا فإن الأمـة لـن تـعـدم من يـتمتع بالفكر السليم والقدرة على استبطان الماضي واستشفاف المستقبل، ولكن هؤلاء إما صامتون أو مفروض عليهم الصمت والانزواء في زوايا الإهمال والنسيان..
عندما أعلن عن فتح الاتحاد السوفييتي أبوابه لهجرة يهوده إلى فلسطين بدا كما لو أن هذا الأمر كان دون مقدمات ، وخارجاً عن منطق الأحداث ، لذلك جاء التعبير عن هذا الأمر في الإعلام العربي مصبوغاً بالمفاجأة وعدم التصديق أولاً، وتوجهت التهم إلى أميركا، أوَ ليست هي الرديف الرئيسى للعدو ؛ والممول لهم بكل ما يحتاج من مال وسلاح وعتاد؟
وتوجيه إصبع الاتهام إلى أميركا لا غبار عليه ، فهي التي كانت ومازالت تجعل من قضية اليهود في الاتحاد السوفييتي قضيتها الرئيسية على صعيد العلاقات الخارجية بينها وبين الـمـعـسكر الشرقي برمته. ولكن الغرابة تكمن في محاولات رفع المسؤولية عن السوفييت في هذا الأمر الخطير، فكل العالم يعرف أن هذه الخطوة - خطوة السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين - اتخذت في مؤتمر مالطة الأخير بين بوش وغورباتشوف ، وأنها عبارة عن دفعة على الحساب من أجل دعم الاقتصاد السوفييتي المنهار.
وهذه الكلمة لم نكتبها لتوجيه اللوم إلى أميركا وإلى السوفييت ، حيث لا نعتقد أن العرب لـو استـمـروا في اللـوم والـتـقريع سوف يجنون شيئاً أو يؤثرون أميركا الصريحة الواضحة للقضايا العربية والإسـلامـيـة عـامـة، وكـذلك بـعـداوة الـروس قبل الشيوعية وبعدها لهذه القضايا، والعداوة عداوة، ونتائجها هى نتائجها سواء كانت صريحة أو مستترة، مفضوحة أو مـغـلـفـة، بـل إن

الـعـداوة الـصـريحـة خطبها أهون من المستترة، والكفر شأنه أيسر من النفاق، وبمقدار تنبه الرجل إلى الخطط المستترة وإبطالها يكون حازماً وحكيماً، ويوصف بالعبقرية والدهاء.
ولكننا ننبه فقط إلى الحجج المهلهلة التي ساقها الإعلام العربي في مواجهة هذا الحدث، هذه الحجج التي هي انعكاس للضعف الذي نعاني منه والفوضى التي تضرب بجذورها في واقعنا على كل مستوى.

لنستعرض بعضاً من هذه الردود القولية والعملية:

* - هجرة اليهود نقطة تحول مفاجئة في العلاقات.
*- استنكار أن تحل مشاكل اليهود على حساب العرب.
*- نوافق على هجرة اليهود على أن يستوطنوا في إسرائيل ولا يستوطنوا في الضفة وغزة.
* - نداء من الجامعة العربية لأميركا كي تعدل من الرقم الذي حددته كحد أعلى لما يمكن أن تستقبله من اليهود المهاجرين.
*-وفد رسمي يذهب إلى موسكو لبحث قضية الهجرة ومطالبة الروس والأميركان أن يضمنوا عدم توطين المهاجرين في الأراضي المحتلة بعد عام 67، وبأن يسمح الاتحاد السوفييتي لمن يود الرجوع من المهاجرين أن يعود مرة أخرى.
*- طالبت بعض الدول العربية المهاجرين اليهود أن يهاجروا إليها لا إلى فلسطين.
* - عقد مؤتمر قمة كرد على الهجرة واتخاذ قرارات تاريخية إلى غير ذلك مما قيل في هذه المسألة..

إن الخطأ في هذا يتلخص في النقاط التالية :

*- الغفلة التامة عن السياسة الصهيونية وأهدافها الأساسية الاستراتيجية التي لا تتغير ولا تتعدل ، وهى: التوسع المتواصل على حساب العرب.
* - الغفلة أو التغافل عن دور كل من أميركا وروسيا في خلق الكيان الصهيوني في دنيا العرب ، وأن هاتين القوتين - وغيرهما من القوى الكبرى - متضامنون متعاونون على حماية إسرائيل من أي خطر يهدد وجودها، وهذا التضامن والتعاون والتعهد موثق بأوضح عبارة، ومؤكد بأقوى المواثيق ، لأنهم يعلمون جميعاً أنه كيان اصطناعي ولابد له من ذلك حتى يستمر على قيد الحياة.
* - غض النظر عن حقيقة أن السوفييت - كأميركا - لا يعترفون بالعرب كأمة واحدة بينها روابط مشتركة، وأنهم منذ عهد القياصرة وحتى عهد غورباتشوف لا يؤمنون بأن لهذه الأمة دوراً تلعبه ، بل شأنها كشأن الأقاليم والمناطق الإسلامية في أواسط آسيا إلا موارد للمواد الخام ومصادر يتزاحم عليها الاستعمار ويخلف بعضهم بعضاً عليها.

* - اغترار كثير، من المسؤولين العرب بما يسمونه الصداقة التي تربطهم بهذه القوى، وكل عاقل يعلم أن هذه الصداقة لا أساس لها ، فكل صداقة لابد لها من أساس تقوم عليه، فلا دين ولا لغة ولا جنس ولا حضارة تربط بين كل من روسيا وأميركا من جهة وبين الشعوب العربية.
تبقى المصالح المشتركة! وحتى تكون هذه المصالح أساساً للصداقة فلابد من التكافؤ بين طرفيها، فأين التكافؤ هنا؟ نعم هناك مصالح متبادلة ولكنها مصالح دول استعمارية جشعة متحالفة مع مصالح فئات قليلة جداً مشابهة في جشعها وخراب ذممها للاستعمار لأنها وليدة هذه العقلية التي ذاقت منها شعوب الأرض الأمرين.
*- إن بدعة مؤتمرات القمة بدأت منذ ما يقارب إعلان قيام إسرائيل على أرض فلسطين العربية المسلمة، وبينما استغرق الإعداد العملي لقيام دولة إسرائيل حوالى خمسين سنة تقريباً ، فإننا أردنا مواجهة هذا الأمر الجلل بهذه الأفعال الاستعراضية الجوفاء فكانت النتيجة كارثة 1948 ، وتوالت بعد ذلك الكوارث ، وكل كارثة تسبق أو تختم بمؤتمر قمة، خذ مثلاً : قضية تحويل روافد نهر الأردن ، كارثة 1967، حرق المسجد الأقصى، حرب1973، صلح مصر مع اليهود، الهجرة اليهودية الجديدة، وهكذا دواليك.
لو أن خبيراً في الإحصاء فكر في تأليف كتاب يضمنه إحصائيات عن القرارات الرسمية وغير الرسمية، وبيانات وبرقيات الشجب والاستنكار، والخسائر المادية والزمنية والصحية التي أنفقت في المؤتمرات الحاشدة، ثم أتى بدراسة موثقة عن تكاليف بعض المؤتمرات الرسمية وما يسبقها ويعقبها من استقبالات وتوديعات وسفريات وخدمات فندقية وترويحية، غير ناس تكاليف النشر الصامت والبث الحي في أجهزة الإعلام... أقول : لو أن خبيراً فكر في هذا العمل لأخرج للأجيال أثراً قيماً فيه العبرة والدلالة الواضحة على حياة البؤس والضياع التي عاشتها وتعيشها الأجيال العربية في هذا القرن، لعل ذلك يكون منبهاً على عقم هذه الأساليب التي نلجأ إليها، والتي تكلفنا ما لو أنفقنا جزءاً منه في الطريق الصحيح لما كان واقعنا على ما هو عليه من الضلال وفقدان الوجهة؛ لأن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب.
هل نريد مثالاً على مثل هذه البيانات العجيبة في معناها، الغريبة في دلالتها على نوعية شخصيات مصدريها، ومستوى التفكير الذي يتمتعون به ؛ ثم جدارتهم بما يتربعون عليه من مناصب؟
الأمين العام لجامعة الدول العربية خير من يمثل هذه النماذج من البيانات :
" صرح الشاذلي القليبي الأمين العام للجامعة العربية بأن حقوق الإنسان لليهود السوفييت قد انتهكت بإجبارهم على هذه الهجرة غير الشرعية إلى إسرائيل ، ودعا أميركا والاتحاد السوفييتي ودول المجموعة الأوربية لإيقاف الهجرة ".

وتصريح آخر يتحسر على المساكين اليهود الذي أغلقت في وجوههم جميع الأمكنة، ولم يبق لهم إلا إسرائيل يذهبون إليها!
قال بسام أبو شريف (من أبرز مساعدي عرفات):"إن 50 إلى 100 ألف يهودي سوفييتي يتوقع أن يصلوا هذا العام إلى إسرائيل ليس لهم مكان آخر يذهبون إليه " (1).
إن الشعوب العربية من أقصاها إلى أقصاها مقتنعة بأن هذه الأساليب لا تعيد حقاً مغتصباً، ولا تردع عادياً صائلاً. فلا الرأي العالمي ، ولا هيئة الأمم ، ولا مجلس الأمن ، ولا أصدقاؤنا الأميركان ، ولا الروس يمكن أن يستجيبوا لدعوة المظلوم. وحده الله سبحانه وتعالى فقط من يفعل ذلك :
((أَمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذَا دَعَاهُ ويَكْشِفُ السُّوءَ ويَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ)) [النمل:62].

الهوامش:

1 - الغارديان 30 / 1 / 1990.

فوز جبهة الإنقاذ الإسلامية بثقة الشعب الجزائري

في الانـتـخـابـات المـحـلـيـة التي جرت في الـجـزائـر بـتـاريخ 12/6/1990 أعطت أكثرية الشعب الجزائري صوتها لجبهة الإنقاذ الإسلامية، ونالت أكثر من 60% من الانتخابات البلدية و75% من انتخابات الولايات (المحافظات)، وهذه النسبة كانت مطابقة تقريباً لما تـوقـعـه القائمون على الجبهة، بينما اعتبرت مفاجئة لمن لايسرهم أن يروا صوت الإسلام مرتفعاً.
نـقـطــة الخلاف بين المسلمين وغيرهم في النظر إلى هذه النتيجة: أن المسلمين مطمئنون أنه لا صـوت يعلو على الصوت الإسلامي إذا أتيحت له الفرص التي تتاح لغيره ، بينما يشك غيرهم أو يتشكك ويثير حول هذه النقطة الغبار.
مـنـذ أن صـرح لحـزب يـتـبـنى الإسـلام منهجاً له في الجزائر والحديث من ذلك يتصدر الصـحـف والمجلات ، أجنبية وعربـية، وكلما ظن الإنسان أن عداوة الغربيين للإسلام قد خفت إذا به يكتشف كل يوم أن هذا الظن في غير محله ، وأن القوم لا يستطيعون - بحكم طبيعتهم - أن يتقبلوا أي شيء يرتبط بهذا الدين من قريب أو بعيد. وعداوة هؤلاء للإسلام مـفـهـومـة، ودوافـعـهـا ومـحـركاتها لا تحتاج إلى شرح وتوضيح ، ولكن غير المفهوم وغير المنطقي هو الحملة التي رافقت هذا الأمر في الصحف العربية.
وعلى الرغم من أن هناك اختلافات كثيرة بين الصحافة العربية والأجنبية في تناولها لكثير من المـوضـوعـات والمـشـاكـل إلا أنه من المستغرب والمثير

للعجب هذا التطابق في موقفها من القضايا الإسلامية، وبخاصة قضية قيام تجمع على أساس الإسلام في الجزائر.
ومع أن عهد الاستعمار قد انتهى ، لكن القارئ لتعليقات الصحف الفرنسية حول الجزائر في هذه الفترة يخيل إليه أنها لاتعلق على موضوع يخص دولة أخرى وشعباً آخر ليس منها وليست منه في شيء ، بل يخص أساس وجود أمة الفرنسيين ودولة فرنسا ذاتها، بل ويحسب أن استقلال الجزائر كان استقلالاً منقوصاً ، وأن اتفاقية الاستقلال وانسحاب فرنسا من الجزائر كانت تتضمن بنوداً سرية يلتزم بموجبها للجزائر أن يتولى الحكم فيها لون واحد من البشر، هو اللون الذي خلف فرنسا، واحتكر ادعاء التحرير والوطنية، وكبت كل صوت آخر، وبخاصة الصوت الإسلامي، حتى إذا زكم الفساد الأنوف وتململ الشعب من جراء هذه الأزمة العقائدية والأخلاقية والاقتصادية التي حلت به نتيجة التسلط واللصوصية ؛ فثاب إلى عقيدته يستلهمها ، وإلى دينه يستمد منه عناصر المصابرة والمقاومة ؛ إذا بنا نجد فرنسا وكأنها قد حلت بها إهانة ثانية مثل إهانة المذبة(1) ، وكأنها تتهيأ لغزو الجزائر مرة ثانية!
لكن لا فرنسا اليوم هي فرنسا 1830 ، ولا الشعب الجزائري هو ما كانه عام 1830 ، وهذه الحقيقة البسيطة التي تجهلها فرنسا أو تتجاهلها أصبح يعرفها الشعب الجزائري المسلم ، وأصبحت تعرفها جموع المسلمين في كل مكان. وكما كانت ثورة الشعب الجزائري ضد أعتى أنواع الاستعمار وأكثرها وحشية ملهمة لكثير من الشعوب كي تتحرر من عبودية الاستعمار في آسيا وأفريقيا ؛ فإننا لنرجو أن يكون اكتساح الخيار الإسلامي لكافة الخيارات الأخرى في الجزائر ملهماً للشعوب الإسلامية الأخرى كي تتحرر من أذناب الاستعمار وأعوانه كما تحررت من جيوشه وأساطيله ، ودافعاً لكل مسلم مظلوم أن يرفع صوته معتزاً بدينه ، نابذاً كل عقيدة ومذهب وفكرة ماعدا الإسلام ، وكافراً بكل طاغوت من أي جنس وأي لون.

الهوامش:

1 - وهي الحادثة التي ضرب داي الجزائر سفير فرنسا بمذبة كانت بيده ، فاتخذت فرنسا من ذلك عذراً لاحتلال الجزائر عام 1830.

الاستهانة بتاريخ الشعوب

إنه لأمر يبعث على السرور أن نرى شعباً واحداً فرقته الظروف غير الطبيعية يعود ويلتقي طرفاه وتتحد أرضه وتزال الحدود الوهمية التي رسمها الأعداء من بين أجزائه. هذا ما شعر به كل عربي مخلص وكل مسلم غيور ، عندما

التقى شطرا اليمن وأصبحا دولة واحدة نتمنى أن تكون نموذجاً لكل قـطــرين مـتـجـاورين من أقطارنا التي فرضت عليها التجزئة فرضاً.
نقول هذا على ما في القلب من غصص بسبب الأوضــاع الـشــاذة الـتـي عاشها أحد شطري اليمن في ظل الشيوعية المخربة التي لم تخلف وراءها من الذكر إلا أســوأه ، ومن الآثار إلا الإحن والعداوات ، ومن الفكر إلا فكراً طفولياً فجاً ، أراد أن يجد له أرضاً يُسْتَنْبَتُ فيها فلم يستطع ، فلجأ إلى الحديد والنار وإلى الإرهاب ليقتلع عقيدة الأمة من الصدور، ويفسد العقول والضمائر، و عاش ما عاش فكراً طفيلياً وافداً مدعوماً بالقوى الحـمــراء الـتـي هـى الـوجــه الآخــر للاستـعـمــار، وما إن ظهرت علائم السقوط على الأصل حتى سقط الفرع تلقائياً، وما أن انهارت الشيوعية في عقر دارها حتى انهار على أثرها بنوها في كل مكان، وكأننا أمام تطبيق عملي مستوحى من حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم:» ذكاة الجنين ذكاة أمه« ، وكل ذي عـقــل يـعـــرف أن هؤلاء الشيوعيين ليسوا طلاب وحدة ولا يؤمنون بوحدة العرب أساساً، كـيــف ؟ وهـم فـي عنفـــوان قوتهم حرب على كل مظاهر الوحدة والتضامن ، لا نقول: على أساس الإسلام ، بل حتى على أساس قومي أو علماني، ولكننا للإنصاف نعترف لهم بالدهاء والقدرة على الـمـنـاورة وتغيير الخطط ، وسرعة التكيف مع الظروف. فحينما أحسوا نبأة قدروا على أثرها أنـه واقـع بـهـم ما وقـــع لـ : (جيفكوف) و(هونيكز) و (ستازي)، أو محيط بهم ما أحاط بـ:شاوشيسكو وامرأته،داروا دورة ؛قالوا: الوحدة الوحدة ، فكان أن وجدوا من يجيبهم: لبيكم ، لبيكم!
وهم في هذه الدورة التي داروها - إن لم ينفعهم الاستظهار بإخوان لهم - عـلـى الأقـــل يسلمون برؤوسهم عندما يضيعون في خضم الشعب " ملجأ وذاب "، وهو مطلب غير قليل .
ولتأكيد هذه النتيجة التي وصلنا إليها ،فإنهم لجأوا إلى حرق الملفات بعد إلغاء أجـهـــزة الأمن ، فقد " أكد وزير الداخلية في الجمهورية اليمنية أن إغلاق وحرق ملفات السياسيين يأتي امتداداً لإلغاء جهازي الأمن الوطني ووزارة أمن الدولة السابقتين ، وبعثاً لصفـحـــة جديدة اقتضتها الظروف الوحدوية التي تمثلت في إعلان الجمهورية اليمنية. وقال:"... إنه بقيام الدولة اليمنية لا نريد إثارة أيَّاً من قضايا الماضي ، ويجب أن تغلق ؛ لأننا أبـنـاء اليوم (!) والقيادة السياسية للجمهورية اليمنية واضحة في هذا الجانب، فـلـيـس هـنــاك تحفظ على أي شخص ، والوطن يتسع للجميع ، وهم مدعوون لبنائه "
[جريدة القبس الدولي 15/6/1990].
هـكــذا يُـهـال التراب على حقبة سوداء عاشها شعب عربي أصيل ابتلي بهذه الشيوعية الخبيثة، وهـكـــذا تنعدم وتضمحل شهادات وشهادات على ما اقترفت أيدي ذلك النظام البائد في جنوب الـيـمـن ، فكم احتوت تلك الملفات

المحروقة من دلائل وبينات على ولوغ من أعدُّوها في دماء الأبــريـــــاء وأعراضهم ، وكم كان فيها من شهادات على المظالم التي ارتكبت ضد الآلاف من الأبرياء.
كان بودنا لو لم تعدم هذه الملفات وبقيت وثائق للـتـاريخ ، إن المظلومين قد يموتون قبل أن ينتصفوا من ظالميهم ، وقد ينسون ويصفحون عـند المقدرة،وقد تحول بينهم وبين حقوقهم التي أهدرت وكراماتهم التي ديــســت حــوائـل ، فيصبرون ويصمتون راضين بقوله تعالى: ((وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ)) [إبراهيم:42،43].
إن إحـــراق هذه الملفات تضييع للحقوق ، وتغييب لآثار جرائم مجرمين لا تسقط جرائمهم بـالـتـقـادم. وقد يبدو الأمر بسيطاً، ومسوغاته المذكورة كافية،ولكنه ليس كذلك ، فأقل ما يقال هــنـــا :أن هذا الأمر لا ينبغي أن يبت فيه دون عرضه على مجلس شورى مثلاً، أو على استفتاء شعبي.
وهناك حـلـول أخرى ممكنة غير الحرق والإعدام! ولكن المجرم يعرف نفسه ، وهو أدرى الناس بما اقـتـرفت يداه ، وهذا هو دأب الشيوعيين وأخدانهم من العلمانيين واللادينيين، استهانة بالإنسان وبأقدس ما قدمه الإنسان ، وعدوان على التاريخ بتشويهه وتسـخـيـــره لمصلحتهم؛ أو بـبـتـره وغـسـل صـفـحـاتــه حتى لا يظل ناطقاً بلعنهم وشاهداً على كفرهم وطغيانهم .

المسلمون في الفلبين

كان لا يزال القتال الذي اندلع مؤخراً فـي مديرية - بيكيت - محافظة كوتا باتو الشمالية بين مجاهدي جبهة تحرير مــورو الإسـلامية وبين القوات المسلحة الفلبينية مستعراً طوال شهر رمضان المبارك بشكل متقطع ، حـيـث قــام المـجـاهــــدون بتنفيذ ثمان عشرة عملية جهادية فدائية خلال الشهر المعظم حول المديرية المذكورة وضــواحـيـها، وقد أسفرت هذه الـعـمـلـيات الجهادية الفدائية عن مقتل أكثر من ثلاثين جندياً حكومياً، وتـدمـيــر ثـلاث سيارات عـسـكـرية، وإحراق عدد من خيام القوات المسلحة الفلبينية، كما غنم المجاهدون أربع عشرة قطعة من الأسلحة الأوتوماتيكية الأمريكية الصنع..
وأما العدو :فـقــد انـتـقـمــوا - كعادتهم - من المدنيين الأبرياء، وقصفوا القرى الإسلامية المجاورة الآمنة، كما ركزوا قصفهم على مديرية باجالونجان المجاورة، علماً بأن 99% من سكان هذه المديرية من المسلـمـيـن، لـذلك أمـطـروها بمدافع الهاون ، وقد هرع المسلمون إلى مخابئهم بجوار بيوتهم ، ورغم كثافة عملية القصف فلم يصب أحد منهم ..
مديرية تولونان - محافظة كوتاباتو -

كـــان القـتــال في هذه المديرية وما حولها شبه مستمر خلال الشهر المبارك، وقـد سـجـــل المجاهدون في هذه المديرية وضواحيها ثمانى عمليات جهادية فدائية، وكان آخرها في ليلة السابع والـعـشـريـن ؛ لأن المجاهدين أرادوا إحياء ليلة القدر بالقتال في سبيل الله ، وقد تمنى كثيرٌ منهم الـشـهـادة أثـنـاء تلك الليلة المباركة، وقد هرب جنود العدو بعد أن قتل منهم ثلاثة عشر جندياً .

التطورات السياسية

تصر حكومة أكينو على تنفيذ مــا أسمـتــه الحكم الذاتى للمسلمين ، وقد أجرت مؤخراً انتخابات لمسئوليات مكونة من المحافـظ العـــام ونائبه وعدد من أعضاء مجلس النواب ، وتجرى الاتصالات حالياً بين الفائزين في الانتخابات لتكوين وزارة للحكم الذاتي المزعوم.

وسبق أن رفضت جبهة تحرير مورو الإسلامية هذا النوع من الحكم الذاتي ، وهي مصرة على رفضه وتعتبره جهازاً دعائياً لتضليل الرأي العام المحلي والعالمي.

وقد أعلنت جبهة تحرير مورو الإسلامية رفضـهـــا لهذا الإجراء المنفرد من قبل حكومة أكينو، ولن تعترف بما أسمته الحكم الذاتي للمسلمين ، كما لا تعترف بحكومة الفلبين في مندناو نفسها ، وهى تعتبر السلطات الحكومية في المنطقة سلطات احتلال مثل السلطات الإسرائيلية في فلسطين المحتلة. وأعلنت جبهة تحرير مورو الإسلامية بقيادة الأستاذ سلامات هاشم أنها ستسعر جهادها في سبيل الله في الميدان وليس في الصحف والإذاعات ، إلى أن تتحرر أرض مورو من دنس الحكومة العميلة ، وأن يقوم الحكم الإسلامي في هذه البقعة بإذن الله تعالى، لأن النصارى الظالمين لوثوها بدنس التثليث والكفر والخنازير، والخمور، والبغايا، والمخدرات،والقمار، والسرقة ، وغيرها ، فما كانت المنطقة تعرف تلك الأشياء لولا استيطان النصارى فيها .

الإسلام في أفريقيا

حرب الإبادة ضد المسلمين في ليبيريا

كتب إلينا الأخ ريكو شريف - ليبيريا :

يتعرض مسلمو ليبيريا حالياً لـمـحـنـة مـؤلـمـة لم تشهد البلاد مثيلاً لها في تاريخها، ففي 24 من ديسمبر 1989 :شنت قوات متمردة والمتمثلة في قبيلة غييو الوثنية بليبيريا هجوماً مباغتاً على منطقة نيمبا شمال شرق ليبيريا عبـر الحـدود مــع ســاحــل العـاج ، بـدعـوى الإطـاحـــة بحكومة الرئيس صموئيل دو. ولكن الغريب هو أنهم وجهوا جل هجومهم ضد المسلمين الـعـــزل ، حيث قتلوا حتى الآن ما يزيد على (2000) مسلم منهم أئمة ودعاة ، ولجأ ما

لا يـقـل عن (1500) شخص إلى ساحل العاج وغينيا (كوناكري) المجاورتين ، ولا يزال ما لا يـقـل عن (1000) شخص في حكم المفقودين ، بينما يوجد أكثر من (150) ألف شخص مـتـشــرد بدون مأوى، هذا بالإضافة إلى قيامهم بدهم المساجد، وتخريب ممتلكات المسلمين، واغتصاب نسائهم ، مع التمثيل بقتلاهم شر تمثيل.

خلفيات المشكلة ولها شقان :

الشق الأول : جاء الرئيس صموئيل دو إلى السلطة أثر انقلاب عسكري في 12 من إبريل عام 1980 ، قـــاده مــع مجموعة من الشبان العسكريين وكان من بينهم الجنرال توماس كيومبا، الذي اشتهر بشـجـاعـتــه ومـواقـفـه القوية في إنجاح الانقلاب ، وتثبيت النظام الجديد حتى لقب بـ:(الرجل القوي). وينتمـي كـيـومـبـا إلى قبيلة غييو الوثنية ، إحدى القبائل الثلاث الرئيسية القاطنة في منطقة نيمبا، بالإضافة إلى قبيلتي الصادنغو المسلمة، و الصانو الوثنية هى الأخرى .

ولكن بمرور الزمن ، بدأت الخلافات بين الرئيس دو والجـنـرال كـيـومـبــا حول بعض القضايا، منها :تسليم الحكم إلى الشعب كما كان يرى كيومبا ؛ وذلك تنفيذاً للوعد الذي أخذوه على أنفسهم بعد الانقلاب،وهى فكرة لم تكن مقبولة لدى الرئيس، وكانت النتيجة الحتمية لهذه الاختلافات تنحية كيومبا عن منصبه كقائد عام للجيش، وعندئذ قرر الفرار من البلاد إلى المنفى، وفي 12 من نوفمبر عام 1985 تسلل إلى البلاد وقـــاد انقلاباً انتقامياً ضد الرئيس دو، إلا أنه فشل وقتل على أثره. وقد أدى مقتل كيومبا إلى زيـادة حدة التوتر والعداوة بين الرئيس وقبيلتي الغييو والصانو، فخرج معظمهم إلى المنفى - وعـلـى وجــــه الـتـحـديــد إلى ساحل العاج وبوركينا فاسو-وذلك لتكوين جبهة معارضة جديدة لمحاربة الرئيس دو.

وفعلاً استقبلتهم حكومات تلك الدول وقدمت لهم جميع التسهيلات ، منها: التدريبات العسكرية لسبب واضح هو :أن ابنة رئيس ساحل العاج كانت متزوجة من ابن الرئيس الليبيري الراحل وليام تولبت الذي أطاح به الرئيس دو وقتل هو وابنه في الانقلاب. وهذه الأرملة متزوجة الآن من رئيس بوركينا فاسو.

الشق الثاني : ويتعلق بعلاقة المسلمين بهذه المشكلة، فإذا كانت ادعاءات المتمردين فعلاً صحيحة بأن هدفهم هو الإطاحة بالحكومة ، فلماذا يقتلون المسلمين الأبرياء العزل الذين ليس لهم أي شأن بأمور السياسة، ألا يعرفون مقر الحكومة أو الحكومتين ، أو أن المسلمين يحولون دونهم ودون وصولهم إلى الحكومة؟ إن هذه التساؤلات وغيرها قد تدور في خلد أي مسلم غيور؟!! يرى أو يسمع عما يحدث للمسلمين في ليبيريا، ولن يستطيع الوصول إلى أية أجوبة منطقية لها غير جواب واحد ، ألا وهو :الحقد الذي اختلجت به

صدور هؤلاء الكفار ضد المسلمين ؛ لأنهم - أي :المسلمين - جادون في العمل وبيدهم زمام اقتصاد البلد وتجارتها ، مما ساعد على جعل مستواهم المعيشي والاجتماعي أفضل من غيرهم في المجتمع.
كما لا يمكن التغافل عما قد يكون للقوى التنصيرية العالمية من دور في هذه المشكلة، فدولة ليبيريا - بحكم حريتها الدينية المطلقة - تعتبر من أكبر وأنشط معاقل الحركات التنصيرية في أفريقيا، حيث يوجد فيها تقريباً فرع لجميع الكنائس والمؤسسات التنصيرية العالمية المختلفة، وكثيراً ما عبروا عن تخوفهم من سرعة انتشار الإسلام وهيمنته في ليبيريا. حيث يعقدون المؤتمرات والندوات الدورية لمواجهة ما يسمونه بالزحف الإسلامي، ولكن دون جدوى، ولذا لا يستبعد المرء أن يكون لهم يد في هذه المذبحة التي يتعرض لها المسلمون كآخر مؤامرة يلجأون إليها لاستئصال الإسلام والمسلمين من ليبيريا، والقضاء عليهم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

موقف الحكومة :

إن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي: أن الحكومة الليبيرية الحالية تتعاطف مع المسلمين إلى درجة عالية لم يسبق لها مثيل في التاريخ السياسي للدولة، ويمكن الاستنتاج بأن هذا التعاطف قد يكون سبباً آخر لما تتعرض له حالياً، وفي هذه الحادثة بالذات بذلت الحكومة كل ما في وسعها وسخرت جل طاقاتها لحماية أرواح المسلمين وممتلكاتهم والقضاء على هذه الفتنة. ومما يجدر ذكره :أن حوادث القتل والنهب التي تقع ليس كلها بفعل المتمردين بل كان يشاركهم فيها بعض أفراد جنود الحكومة أيضاً. فعندما يرسلون للدفاع عن المسلمين يتحولون إلى مهاجمين عليهم لإثراء أنفسهم من ممتلكات المسلمين، وذلك لكونهم أولاً: جنوداً غير مسلمين ، وثانياً: عدم إخلاصهم للحكومة، ولم تدرك الحكومة هذه المؤامرة المزدوجة في بداية الأمر مما زاد الطين بلة.

المنظمات التنصيرية وعمليات الإغاثة المزعومة :

منذ بداية الحادثة بدأت المنظمات التنصيرية تتوافد على غينيا (كوناكري) وساحل العاج لاستغلال ظروف الناس القاسية،لإيصال معتقداتهم الباطلة إليهم بحجة الإغاثة، وكما هو معروف تحت ستار "الإنسانية"، وقد تم مؤخراً نقل مجموعة كبيرة من اللاجئين من غينيا إلى مراكز لإحدى هذه المنظمات في دول أفريقيا بحجة ضيق مأواهم في غينيا، ومن يدري ماذا سينتهي إليه أمر أولئك المساكين؟ .

خبر وتعليق

شؤون سودانية

نـشـرت جـريـدة (الشرق الأوسط) بتاريخ 1990/6/4 مـقابلة قصيرة مع الدكتور كمال زكي مـصـطـفى عـضـو المـجـلس الاستشاري للجنة السياسية لمجلس الإنقاذ الوطني في السودان وسألته الجريدة عن التحرك الجديد لإقامة تنظيم سياسي جديد يستقطب كل أبناء الشعب السوداني على مختلف توجهاتهم الفكرية والسياسية وتباين مشاربهم العرقية والدينية..؟ وأجاب الدكتور كمال زكي :

" إن التنظيم السياسي الجديد يهدف إلى تحقيق أهداف منها:

- تجميع أهل السودان في وعاء واحد وتوحيد إرادتهم.
- فــتــح المـشـاركـة لكل قطاعات الشعب على أن يؤدي العضو قسم الولاء للوطن والتنظيم السياسي.
- نبذ أي ارتباطات حزبية أو دينية أو عرقية أو قبلية سابقة.

وأوضح أن المجلس الاستشاري قرر تكوين لجان للطواف على الأقاليم كافة لطرح التصورات والمقترحات حول التنظيم السياسي المرتقب.. ".

تعليق :

إن إبـعـاد الـشـعـب عـن الـتـناحر الحزبي أو القبلي شيء طيب، ولكن أن نعود إلى تطبيق (الحـزب الواحد) الذي جربته بعض الدول العربية وثبت فشله الذريع ، فهذا شيء يدعو للاســتـغـراب ، إنــه لـو فـرضـنا : استطاع الحزب الواحد ضمَّ شرائح كثيرة من المجتمع فسيبدأ الصراع داخل الحزب للوصول إلى المناصب ، أو استغلال الحزب لأغراض شخصية أو مادية..

وإذا كان الشعب السوداني شعب مسيس وقد فرقته الأحزاب ، ولا نريد الـعــودة إلى تلك الأجواء فليس الحل بأن تنشأ الدولة حزباً وتشكل اللجان ، واللجان الفرعية ونـعود إلــى الدوامة الشكلية والحزبية .. ولكن الحل أن تستفيد الدولة الآن من كل الطاقات الـعـلـمية وتـبـدأ بالإصلاح الحقيقي وتبدأ بالتعليم بشكل خاص ، ثم تأتي المشاركة بشكل طبـيعي، تأتي عن طريق الشخصيات التي أثبتت كفاءتها ، وعن طريق المخلصين ، وفي الــدرجـــة الأولى عن طريق العلماء وأساتذة الجامعات الذين يرون الإسلام هو الحل .

إن بلداً مثل السودان بمشاكلها الكثيرة تحتاج إلى مخلصين نابهين ، أصــحـــاب جرأة في القرار ، وليس إلى سياسيين انتهازيين .

ثـم مــا مـعـنـى قسم الولاء للوطن ونبذ اي ارتباطات دينية ، هذه أساليب قديمة في العمل السياسي والعمل الجاد الإصلاحي هو بداية الطريق .

أخبار حول العالم

حكومة كشميرية مؤقتة

قالت مجموعة من المجاهدين الكـشـميريين تتخذ من باكستان قاعدة لها أنها بصدد تأليف حكومة مؤقتة تمثل الكشميريين الــذيـن يعيشون تحت وطأة الاحتلال الهندي . وقد أعلن رئيس جبهة تحرير كشمير أمان الله خان في مؤتمر صحفي في مدينة مظفر آباد الباكستانية عن أعضاء الحكومة الذين سيبلغ عددهــم أربـعــة وعشرين عضواً ، وسيكون من بين هؤلاء ثمانية عشر عضواً من الشطر الذي تحتله الهند مــن كشـمـيـر فـي حـيـن أن البقية الباقية يمثلون الجزء الذي تسيطر عليه باكستان .
ومن جهة أخرى وعلى الصعيد العسكري فقد اشتدت حدة الـمـعـارك هـناك ودخلت طوراً جديداً وذلك بعد استخدام الكشميريين للصواريخ لأول مرة منذ اندلاع الصـــراع ، فقد قام المجاهدون بإطلاق عدة صواريخ على مركز تابع للقوات الهندية وأدى القصف إلـى مصرع أربعة جنود هنود وجرح عدد كبير .
الجارديان 19/6/1990م
الإندبندنت 20/6/1990م

الأمريكان والسوفييت يقتربون من التوصل إلى معاهدة بشأن أفغانستان

قـــال وزير الخارجية الأمريكي في الأسبوع الثاني من شهر حزيران (يونيو) أنه لم تعد بين الولايــات الـمتحدة والاتحاد السوفياتي سوى خلافات صغيرة جداً جداً إزاء الكيفية التي سيتخذها الحــل الـسـلـمـي في أفغانستان . وقــال الوزير : إن نقطة الخلاف الوحيدة بين الدولتين هى تلك التي تتعلق بمسألة بقاء أو زوال الـرئـيـس نجـيـب الله مــن منصبه أثناء الفترة الانتقالية التي ستسبق الانتخابات.
التايمز15/6/1990م

مانديلا يؤكد على حق إسرائيل الثابت في الوجود

فى أعـقــاب اللقاء الذي تم بين مجموعة من اليهود الأميركان ونائب رئيس المؤتمر الوطني الأفريقي نيلسون مانديلا يوم 10 / 6 / 1990 م لمناقشة موقف الأخير من إسرائيل ، صرح الرئيس التنفـيــذي لـلـمـؤتمر اليهودي الأمريكي: أن مانديلا شدد على دعم المؤتمر الوطني الأفريقي لحق إسرائيل فـي العـيـش ضـمـن حدود آمنة. ووصف اليهود المشاركين في اللقاء المحادثات بأنها فاقت التوقعات.
هيرالدتربيون 11/6/1990م

ملاحظة: كـان ياسـر عـرفـات قد أهدى مانديلا سيفاً مصنوعاً من الذهب الخالص وذلك بمناسبة خروج الأخير من السجن !!

الماء سلاح إسرائيلي جديد لقمع الانتفاضة

بدأت السلطات الإسرائيلية باتباع أسلوب جديد في التعامل مع الانتفـاضة لوضع حد لها، وذلك بقطع مياه الشرب عن أهالي بلدة "جفتلك" السفلى وذلك في يـوم 12/6/1990م. ولا تبعد القرية المذكورة سوى مـسـافـة مـائـة مـتـر عـن حـدائـق ومـروج إحـــدى المستوطنات الإسرائيلية المقامة على أراضٍ عربية مصادرة، والتي تتمتع بكميات وفيرة من مياه الشرب. وفي الوقت الذي ينفي فيه الإسرائيليون استخدام الماء كسلاح ؛ فإن كـبــار السن في القرية أبلغوا سراً أن إمدادات المياه لن تستأنف قبل الحصول على تعهد من الأهـالـي بالإقلاع عن رمي الحجارة وإحراق إطارات السيارات على الطريق المؤدية إلى أريحا. ومع ارتفاع درجة حـــرارة الجو وازدياد الحاجة إلى المياه تضطر النساء والأطفال إلى الذهاب إلـى بـسـاتـيـن الـمستوطــنات الإسرائيلية لجلب المياه من هناك ، أما كبار السن من الأهالى والمقعدين فإنه لاخيار لهـم سوى الاعتماد على المياه المالحة التي تضخ لمدة نصف ساعة في اليوم لأغراض الري. ويقول أحد أهالي القرية : إننا نضطر إلى اقتسام المياه مع ماشيتنا .

ومما يذكر أن قرية "جفتلك" تقع على حافة غور الأردن ذي التربة الخـصـبة والذي يزود الـضـفـة الـغـربية بأكثر من نصف احتياجاتها من الفواكه والخضار، وتمارس الـسـلـطـات الإسرائيلية مـنـذ احـتـلالهـا للمـنطقة في عام 1967 م ضغوطاً على أهالي القرية لترحيلهم عنها.

الأوبزرفر 17/6/1990م

ركن الأسرة

أطفالنا في رحاب الإسلام

خولة درويش

إن أسرتنا المسلمة صورة مصغرة لمجتـمـعـنـا الإسلامي الكبير، وهي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع المؤمن.. فيها تعد معاييره ومبادئه ومـثـلــه العليا، وفي ظلها يتلقى الأطفال مشاعر الخير، وبذور الإيمان ، وكلما نجح الأبوان في أداء هــذا الواجب ، نجح المجتمع وتمكن من الوصول إلى غاياته وأهدافه.

"ولقد دلت تجارب العلماء على مالتربية في الأسرة من أثر عميق خطير، يتضاءل دونه أثر أية منظمة اجتماعية أخرى في تعيين الشخصيات

وتشكيلها ، وخاصة خلال مرحلة الطفولة المبكرة ، أي السنوات الخمس أو الست الأولى من حياة الفرد.
وذلك لأسباب عدة منها: أن الطفل في هذه المرحلة لا يكون خاضعاً لتأثير جماعة أخرى غير أسرته. ولأنه يكون فيها سهل التأثر سهل التشكل ، شديد القابلية للإيحاء والتعليم.. قليل الخبرة ، عاجزاً ضعيف الإرادة قليل الحيلة..
وتكون السنوات الأولى من حياة الطفل فترة حاسمة خطيرة في تكوين شخصيته ، وتتلخص خطورتها في أن ما يغرس في أثنائها من عادات واتجاهات وعواطف ومعتقدات يصعب أو يستعصى تغييره أو استئصاله فيما بعد، ومن ثم يبقى أثراً ملازماً للفرد في عهد الكبر " (1).
وقبل ذلك بين رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- :» أنه ما من مولود يولد إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو يمجسانه«(2) ،"هذه الفطرة لو ترك الطفل من غير تأثير لما كان إلا مسلماً، ولكن الحجب قد تحول دونها بالتوجيه للاعتقادات الباطلة"(3). يقول ابن القيم-رحمه الله-: " وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال : يا أبتِ إنك عققتني صغيراً، فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً"(4).
لذا فواجب الأبوين المسلمين: رعاية الفطرة والاجتهاد في تحسين تربية أبنائهما، ولا يكفل لهما النجاة يوم الحساب إلا أن يبذلا ما في وسعهما لصلاح رعيتهما، وصيانة الفطرة من الانحراف ،» كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته «.
وفي ظل المجتمع المسلم ، يعرف كل فرد دوره ورسالته ، ويتحمل مسؤوليته متطلعاً إلى ما هو خير وأبقى من الدنيا الفانية، وبالإسلام تعرف المرأة أنها ذات رسالة تؤجر عليها إن أدتها كما يريد الله سبحانه وتعالى . وهي رسالة تتناسب مع تكوينها الفطري . إنها المحضن الدافيء العطوف للأطفال.. فهي أقدر من الرجل على إرواء حاجات الطفل من المحبة والحنان وبقية حاجاته الأساسية، التي لو حرم منها الطفل لعانى الكثير من المصاعب في مستقبل حياته.
" والطفل في سنواته الأولى على الأقل يحتاج إلى أم متخصصة لا يشغلها شيء عن رعاية الطفولة وتنشئة الأجيال، وأن كل أمر تقوم به خلافاً لتدبير أمور البيت، ورعاية الأطفال، إنما يتم على حساب هؤلاء الأطفال ، وعلى حساب الجيل القادم من البشرية"(5).
أما لوثة انشغال الأمهات، فهي لوثة حديثة، هاجمتنا مع دعاة الغزو الفكري لتهدم بنياننا من الداخل ، وتقبَّلها أتباع كل ناعق .. رغم أن العقلاء

عند الأمم الغربية بدأوا يشكون من تمزق الأسرة، وتتوالى صرخاتهم من تلك الديار تشكــو انشغال الآباء، وضياع الأبناء.
فماذا حصَّل المجتمع؟ ماذا لاقى الأطفال؟ بل ماذا جنت المرأة نفسها؟! لقد تحول كثير من بيوتنا إلى مسخ قاتم بدلاً من أن تكون جنة يتفيأ ظلالها جميع أفرادها. وصارت الكآبة تكلل الجميع ، بعد أن أتلف العمل كنز عواطفها وجفف ينابيعه . وأنَّـى يلقــى المجتمع العلاقات الإنسانية النبيلة، التي وأدناها يوم أن عملت المرأة، وتركت الأطفال يعيشون في أجواء يفقد فيها الحنان والحب والاستقرار .
فالتعب والكدح قد أثقل كاهلها واستقطبا وقتها، فحرمها من رحابة الصدر التي تعينها في توجيه أطفالها ومداعبتهم ، وأصبحت موزعة العواطف مشتتة الجـهــود، لا تجـد وقتاً تخلو فيه لحاجاتها الضرورية، بل الراحة والاستقرار ، وإذا أكدنا علـى أهـمـيــة المرأة، ذلك لأن الطفل أكثر التصاقاً بها في سنوات العمر الأولى لحاجته الماسة إليها.
إلا أن الأسرة ليست أمومة فحسب ، وإنما يكمل كل من الزوجين الآخر ولكل دوره. والمرأة والرجل قطبا الإنسانية - كما يقول مالك بن نبي -رحمه الله - (6) ، فالرجل بما يوفر لزوجته من سكن نفسي وطمأنينة وتأمين الكسب الذي يكفل لها ولأبنائها الحياة الكريمة لتؤدي مهمتها باطمئنان.
وكلا الزوجين بلغة العصر " الجندي المجهول " الذي يربي الأجيال ، أو بالأحرى من الأخفياء الأتقياء، يتعاونان في إعداد شباب المستقبل وأمهاته ، رغبة فى الأجر واحتساباً لما عند الله بعيداً عن الظهور والمحاراة، وطمعاً بثواب صدقة مستمرة تبقى إلى ما بعد الموت.
عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:»إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له«(7).
أما وقد أصبحت العادة في بعض البيوت أن تتنازل الأم عن دورها، فتوكل إلى الخادمة أمر أطفالها، إطعاماً ورعاية، بل توجيهاً وتربية، فذلك ضريبة أخرى تدفعها الأسر بدل عمل المرأة ،وإن كان الأمر لا يخلو من حالات أخرى تسند فيها الأم أعمالها إلى الخادمة ،ولعل من أسباب وجود هذه الظاهرة:
1 - كسل الأمهات.
2 - التهرب من المسئولية.
3 - التباهي في الرفاه والمظاهر الكاذبة، والأنفة من القيام بواجبتهن الأسرية.
والسبب الأصيل لكل ذلك هو: البعد عن التصور الحقيقي للإسلام. وتكون الطامة الكبرى عند استقدام الخادمة - الأجنبية الكافرة - فهي تنقل عادات قومها وقيمهم إلى أبناء أسرنا بسبب تأثيرها المباشر عليهم.

وأصبح كثير من بيوتنا فيه خلط عجيب من الأخلاق والعادات والتقاليد. والواقع المحسوس يأتي بالمضحكات المبكيات.
إن الرقي الحضاري لا يكمن في تأمين الرفاه وتوفير الخدم ، وإنما هو نتاج تربية واعية مدروسة، لا تقدر عليها الخادمة، وهي أمية غالباً ، وقد تكون على دين يخالف ديننا.
والأب الأناني الذي تخلى عن واجبه الأسري دونما سبب ذي بال إلا أن يلهو مع أقرانه ، أو يشتغل بتنمية ماله.. فعهد إلى السائق أو الخادم أن يقوم بدور الأب ، هو الموجه وهو صاحب السلطان.
وهكذا.. أصبح كثير من الأطفال - صانعي المستقبل - لا ارتباط حقيقي لهم بدينهم ولا بأسرهم ، بسبب هذا الوباء الذي عم كثيراً من الآباء والأمهات : الانهزامية والتهرب من المسئولية.
فيا أختي المسلمة : لا اعتراض على وجود الخادمة، إن كنت بحاجة إليها، ولا تنسي أن لها مهمتها ولك مهمتك ، فلا تتنازلي لها راضية عن عملك أُمَّاً مربية لأطفالك وهذا أخص خصائصك.. ساعدي ابنك على البر بك.
إن الحنان الذي يرافق إطعامك لطفلك ، والبسمة التي تشجعه إذا أصاب ، والنظرة العاتبة التي ترده إلى جادة الصواب إن أخطأ.. كل ذلك له الأثر الذي لا يمحى من ذاكرة الطفل.
وأنت أيها الأب الكريم: ليسع عطفك ابنك ، وهذا هو خير عطاء تمنحه إياه ، إن دخولك المنزل تحمل الأغراض التي ساعدك بشرائها الخادم ، وتقدمها بيديك لزوجتك وأولادك لا يعوض عملك هذا ملء البيت ألعاباً وتحفاً وملابس وحلوى يباشر تقديمها لهم الخادم. والله أسأل أن يوفق أسرنا المسلمة إلى التربية البناءة الواعية .

الهوامش:

1 - أصول علم النفس ، د. أحمد عزت راجح ص 426، والتربية في الإسلام ، للأهوان، ص 130.
2 - متفق عليه.
3 - الفتاوى لابن تيمية4/247.
4 - تحفة المودود لابن القيم / 139 .
5 - منهج التربية الإسلامية، الأستاذ محمد قطب 108/2.
6 - شروط النهضة / 116 .
7 - أخرجه البخاري في "الأدب المفرد"، ومسلم في "صحيحه" (صحيح الجامع الصغير م 1/199).

الرَّضَاعَة الطَّبِيعِيَّة

إعداد: د. محمد هلَيِّل

إذا كان الحليب هو الغذاء الوحـيـد للـمــولـود الرضيع ، فإن حليب الأم كان المصدر لهذه التغذية، وإذا لم يكن من الأم كان من إحدى الجارات أو القريبات ، إذا لم تتمكن الأم من إرضاعه، وكان العرب وقريش خاصة يرسلون أولادهم للبادية يلتمسون المراضع ، فالحليب هو الـمـصدر الرئيسي للتغذية سواء كان من الأم أو من امرأة أخرى، ولكن مع غزو حضارة الغرب لنا بـكــل مــا فـيـها، أخذ الكثير من النساء بالتخلي عن هذا الواجب وبخلن على فلذات أكبادهن بحليبهن، واسـتـبـدلن حليب البقر المعدل بحليب الأم الطبيعي ، دون أن يكون هناك داع طبي.

ففي دراسة أجريت على 340 امـرأة مرضعة في إحدى دول الخليج العربي: خلص طبيبان مسلمان إلى نتيجة تقض الـمضجع ، وهي: أنه كلما ازداد دخل الأسرة كلما قل إقبال الأم على إرضاع وليدها منها، وأنه كـلـمـا ازداد مـسـتـوى الـتـعـلـيـم للأمهات كلما قلت نسبة إرضـاعهن لأطفالهن رضاعة طبيعية، إن المرء يتوقع أن يزداد الإقـبــال عـلـى الـرضــاعــة الطبيعية كـلـمـا انتشر التعليم بين النساء لا العكس ، ولكن هذه هي إحدى نتائج الحضارة الوافدة على الصغار الرضع.

إن البدائل الأخــرى لحـلـيـب الأم يجب ألا يُلجأ إليها إلا عند وجود ضرورة يحددها الطبيب ، كإصابة الأم ببعض الأمراض التي تحول دون الرضاعة، أو تناول بعض الأدوية التي تحتم إيقاف الرضاعة، أو عـــدم اكـتفاء الرضيع أو التوأمين بحليب الأم ، أو غير ذلك، على ألا تستخدم هذه البدائل دون داع طـبـي ، كأن تمتنع الأم عن إرضاع طفلها رغبة منها بالمحافظة على رشاقتها! أو لاقتناعها أن إرضاعها طفلها منها هي عادة بالية في عصر التقدم.

في الوقت الذي انساق فيه كثير من الأمهات وراء وسائل الدعاية المختلفة، وخلال تقليدهن الجارف للغرب باستعمال بدائل لحليب الأم ، نجد - وللإنصاف - أن بعضاً من الأمهات مازلن يحرصن أشد الحرص على إرضاع أطفالهن منهن.

ولئن كان نساء الأمم الأخرى يرضعن أطفالهن مـنـهـن كـعـادة موروثة، فإنه بالنسبة للمرأة المسلمة واجبٌ دينيٌّ وعـبـادة تـثـاب عـلـيها، وصدق الله إذ يقـــول :((والْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)).

كيف تقرعين باب الجنة؟

نجوى محمد الدمياطي

إلى أخـتـي المـسـلـمة.. إلى من تستلهم في حياتها من التقوى إطاراً ، ومن العلم قيمة ، ومن الـصـلاح عـمـلاً .. أهـدي هـذه الكـلـمات لكي تدافع عن إيمانها بالتطبيق، وتظهر إسلامها بالقدوة والعمل، فتفوز في الدنيا والآخرة، وتكون لها الحياة الطيبة. قال تعالى: ((مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ولَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)).

أختي المسلمة..

تعلمين يا أختاه أن منهاج الله منهاج عبادة، وأن العبادة فيه ذات أسرار، ومن أسرارها أنها مدد للروح وجلاء للقلب ، وأنها زاد الطريق.

ولقد عرف الرعيل الأول من المسلمات هذه الحقيقة ، وأدركن طول السفر ، فتزودن له بخير الزاد.. " التقوى ".. قال تعالى:

((وتَزَوَّدُوا فَإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى واتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ)) ، فالتقوى هي زاد الطريق إلى الله، زاد القلوب والأرواح ، والتقوى حساسية في الضمير وخشية مستمرة وحذر دائم ، وما يدفع الهوى إلا التقوى ومخافة الله ومراقبته في السر والعلن.

والتقوى هى التي تهيئ القلب ليلتقي ويستجيب ، قال تعالى :((الـم * ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)).

والتقوى تجعل في القلب فرقاناً يكشف له الحق من الباطل ويبصره بطريق الحق ، قال تعالى :((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ويُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ واللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ)).

والتقوى الحقيقية يا أختاه هي تقوى القلوب لاتقوى الجوارح ، قال تعالى :((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإنَّهَا مِن تَقْوَى القُلُوبِ)) .وقال -عز وجل-:((لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ)).

ولذلك تكون المسلمة أحرص على إصلاح سرها منها على إصلاح علانيتها، وتخشى الله ولا تخشى الناس.

هذه هي التقوى.. وهي غاية عالية وهدف أسمى ، هل أدلك على وسيلة من وسائل تلك الغاية؟ إنه الصوم يا أختاه. قال تعالى :((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) ، فالتقوى تستيقظ في القلوب وهي تؤدي عبادة الصوم طاعة لله وإيثاراً لرضاه.

فالصوم يجعل للتقوى القوامة على الجسد وحاجاته ، بل يجعل الجسد مطية للروح، فيصفو الفكر ويرهف الحس وتشف النفْس.

ولذلك فإن الصوم يا أختاه يخرج فرداً لا يقبل أن يبيع دينه ببطنه أو فرجه.. وكلما دُعي لعبادة الطواغيت ردد قول يوسف -عليه السلام-:((رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إلَيْهِ)).

أختي الحبيبة:

إن الصوم أسلوب عملي لتربية النفس وتهذيبها وتعبيدها لله رب العالمين ، وإمدادها بعون الله لتثبت في دربها الطويل وطريقها الوعر في مواجهة التحديات والمحن.

وذلك لأن الصوم يربي الإرادة، الإرادة التي تصمد للحرمان وتستعلي على الضرورات وتؤثر الطاعة. فالصوم يربى إرادة " الامتناع " التي هي أصل الإرادة في الإنسان ، وقد كانت تجربة " الإرادة " التي خاضها آدم وحواء في الجنة هي تجربة إرادة " الامتناع"، قال تعالى:((وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)).

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون إرادة الامتناع إرادة مطلقة فقال - صلى الله عـلـيـه وسـلـم:» ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عن شىء فاجتنبوه«، فأوجب رسول الله الانتهاء عن المنهيِّ عنه مطلقاً، بينما جعل الأمر بقدر الاستطاعة.

أختي الحبيبة :

لقد أشار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى مقام الصائمين الذين استعلوا على أهوائهم وغرائزهم ولجموها بلجام التقوى ، فقال :» الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام : أي رب :منعته الطعام والشهوة ، فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل ، فشفعني فيه. قال : فيشفعان «.

وقال -صلى الله عليه وسلم- :» إن في الجنة باباً يقال له :الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد".

وبين -صلى الله عليه وسلم- أن الصوم يكون حجاباً بين صاحبه وبين النار ، فقال:»ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً«.

أختي الحبيبة:

إن من الأشياء ما لا تدركه الكلمات، وليس يكفي أن نقول:"هذا حلو" إذا لم نتذوق طعمه فمن ذاق عرف ، ومن هذه الأشياء طعم الطاعة لله بالصيام !! فجاهدي نفسك يا أختاه بالصوم ، فإنه من أهم عوامل تزكية النفس وبلوغها درجة التقوى وقربها إلى باب الجنة .

ظواهر

الكتب البيضاء

في بعض ما ينشر من تحقيق لكتب التراث أشياء ملفتة للنظر، تستحق العجب والرثاء، كما تستحق تذكير المؤلفين والناشرين بأن يرحموا القراء وجيوب القراء.
اطلعتُ في المدة الأخيرة علي كتاب محقق في مجلدين ، لو حذفت منه الصفحات البيضاء لرجع مجلداً واحداً أو أقل ، فالمحقق يصر على وضع حديث واحد في كل صفحة، فربما يستغرق التعليق والتخريج بقية الصفحة ، أو يأخذ أسطراً قليلة ؛ فتبقى الصفحة أكثرها بياضاً، وإذا امتد هامش الصفحة الأولى إلى الثانية فالثانية ستبقى كلها بياضاً ماعدا بقية الهامش.
إنها محاولة لتضخيم حجم الكتاب على حساب القراء المساكين ، وهناك أمور أخرى تزيد من حجم الكتاب مثل الترجمة للمؤلف ولو كان مشهوراً، وقد ترجم له كثير من قبل، بل تـرجـم لـه المحـقـق في كـتـب سابقة: كالسيوطي وابن رجب وابن القيم.. بل تجد في كل تحقيق لوريقات من مـؤلـفــات ابن رجب ترجمةً له.. ولشيوخه وتلامذته ثم تصوير ثلاث ورقـــات أو أكــثـر من الـمـخـطـوطـة، ثم فهارس الآيات والأحاديث والشعر.. مع أن كل المخطوطة لا يتجاوز وريقات تــعـد على الأصابع ، ولا مانع بعد كل ذلك من الترجمة في الـهـامـــش لـمـثـل أبـــي بـكر الصديق أو عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-، أو لمالك والشافعي، أو للبخاري ومسلم، والــفـهـــــارس في النهاية لا تبلغ إلا أربع آيات أو ثلاثة أبـيـات من الشعر، فالكتاب لا يحتمل الفهرسة ، ولكنه مرض الورَّاقين ، ولمثل هذا أنشد أبو العلاء المعري :

ولمَّـــا رأيــت الجهــل في النــاس فاشـياً
تجاهـــلتُ حتى ظُــن أني جــاهــل

مشاهدات من أمريكا

الرأسمالية البشعة

محمد سليمان

أول ما تفاجأ به وأنت تدلف إلـى مـطــار إحـــدى المدن الأمـريكية - ذلك الاتجاه المادي الرأسمالي الواضح ، كل شيء يدل على هذا الاتـجـــاه ، في كـل خطوة تخطوها يجب أن تدفع ، ثم تتأكد هذه الملاحظة عندما تكتشف أكثر فأكثر هذه الرأسمالية (العارية) .
إن أوربـــا الـغـربـيـة رأسمـالـية أيضاً ولكنها طبعة مخففة عن أمريكا، ففي الأخيرة تحس بوحش الرأسمالية الذي يطل من خلال التكتلات الكبيرة، المصانع الكبيرة، المنظمات التي تخطط لاستمرار هذا الوضع لصالح الفرد الجشع.

لا يوجد مكان للصغار، فلابـــد أن تحمي نفسك داخل منظمة أو تكتل ، اليهود هم الذين عرفوا طبيعة هذه البلاد الجديدة ، فكان عملهم كله من وراء منظمات قوية، ومعترف بها رسمياً.
لم تتغير طبيعة الأمريكي الوافد من أوربا والذي يجري لاهثاً وراء الذهب والأرض ، وكان الحق مع من غلب ، ليس هـنـاك قـانـــون إلا قانون القوة، وهذه تتمثل الآن في الشركات والضغوط الاقتصادية، وتلحظ بعض هذه المظاهر في مدينة شيكاغو، فعندما صعدنا إلى الدور (103) من أعلى عمارة فيها، ورأينا مـنـظـر الـمـديـنــة حولنا، والتي تكثر فيها العمارات الشاهقة ؛ أصابتنا كآبة لهذا الجو المادي الكالح ، أَلِـهَـــذا الحـــد يصاب الإنسان بجنون السباق المحموم في التكالب على الدنيا؟، تذكرتُ في هذا السياق كـلامـــاً لابن تيمية يذكر فيه أن المبالغة في إتقان الدنيا غير مطلوب ، لابد من إتقان بعض أمور الدنـيــا حتـى تكون وسيلة للآخرة ، وحتى يعيش المسلم معززاً مكرماً ، وليس كما يفعل الغرب في هذا العصر.
ومع اتساع هذا القارة يزداد الضغط على المسلم الذي يعيش في إحدى ولاياتها، ولايـتـمـكـن مـــن رؤيـة إخـــوة له إلا في فترات متباعدة جداً، وفي داخل الولاية فإن المساجد والمراكز الإسلامية هي التي تقي المسلم شرور هذا المجتمع الرأسمالي ، وإلا فإنه سيضيع في خضم هذا الاتساع وهذا التكالب على الدنيا، ومن جهة أخرى: فإنه يبدو أن لهذا الاتساع أثر إيجابي على الطلبة المسلمين هناك ، فقد رأيتهم أرحب صدراً لقبول الآراء المخالفة ومناقشتها، إذا ما قورنوا بغيرهم في مناطق أخرى.
إن حجم الدارسـيــن والجالية الإسلامية كبير جداً في تلك البلاد، وما تقوم به الجمعيات والمراكز الإسلامية والـمـؤتمــرات التي تعقد هناك عمل يشكرون عليه ويحمدون ، ولكن في قارة مثل هذه لابد من جمع الـشـتـات ، ولابــد من إثبات الوجود أمام التكتلات الكبيرة والمنظمات العريقة .

بأقلام القراء

الذين ينصبون أنفسهم مدافعين عن الدين

أم عمار - اسكتلندا

كثير هم.. أولئك الذين يجنون على الإسلام ، وعلى الأمة الإسلامية مع أن بعضهم يبدو عليه معالم الالتزام في كثير من مناحي سلوكه.
إنهم أولئك الذين يعرضون الإسلام على عقولهم.. فإذا وافقها قبلوه ، وإذا خالفها رفضوه، وقاصمة ظهر الأمة أن يتزعم هؤلاء دعوة أو يلبسوا لباس أهل التقوى ، فيحلوا ويحرموا ؛ فيهلكوا ويهلكوا.

إن الأمة الإسلامية قد أكرمها الله بأن جعل لها نصاً ثابتاً حفظه من التحريف والضياع ، وجعل لها حكمة قرنها بالقرآن وجعلها مبينة له وهي السنة التي جاءت على لسان النبي -صلى الله عليه وسلم- ، إلا أن السنة لم تدون في عصره -صلى الله عليه وسلم- لحكمة أرادها الله ، فاعتمدت على الرواية، وكان الناس يقبلونها يوم أن كان يؤمن الكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما اندس بين المسلمين من أعدائهم من تشبه بسمتهم وأظهر هديهم ، وفي قلبه مرض الكيد للإسلام ، بدأ الاعتناء بالسند.
فهذه الأمة على ما أكرمت من حفظ لكتاب الله ، أكرمت بالسند الذي من خلاله يميز الطيب من الخبيث ، مما يدور على الألسنة وتسطره الكتب من سابق العصور ولاحقها، ومن ثم ابتليت الأمة بقوم اغتروا بعقولهم ، وأحسنوا الظن بها ، فنبذوا الأسانيد التي أكرم الله الأمة بها، فليت شعري ، أنترك حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأنه لم يبلغ عقل هذا أو ذاك ؟، إنا إذاً خاسرون ، نخسر مكرمة أكرمنا الله بها دون غيرنا، فما قيمة الأسانيد؟، وما قيمة كتب الرجال التي أضاع العلماء فيها أعمارهم ، وإلا لو حكمنا العقول لأتى من بعدنا من يغير ويبدل حسب عقله ، حتى يندرس العلم ؛ ويضيع الفهم الصحيح النقي.
فيا من يسخرون من حديث صح سنده -وكان كالشمس في رابعة النهار- لأنه خالف عقولكم ويبرؤون الدين منه ، ونصبوا أنفسهم حماة ومدافعين: اتقوا الله ، اتقوا الله ،أن تخاصموا رسول الهدى -صلى الله عليه وسلم- ، ويا من يقلد هؤلاء ويسير على نهجهم: اتقوا الله ، فالدين ليس بالعقول القاصرة ، فالعقل الصحيح لا يعارض النص الصريح.

أمر خطير

عبد الله حجراف

إن من نعم الله على المسلم أن يوفقه لاتباع المنهج الصحيح ، فيجب عليه ألا يقع في المزالق الخطرة، حدثت واقعة أثَّرت في نفسي ودب الضعف إليها، حصل بين بعض الدعاة اختلاف في وجهات النظر، فتطاول أحدهم على صاحبه ، وتكلم عليه في غيبته ، لقد تناسى أصحاب هذا الخلاف أن يلتمس بعضهم لبعض العذر مادام يعلم من أخيه الجد والاجتهاد في الدعوة ، وأن الصغار إذا رأوا ذلك في الكبار فسوف تحدث له شكوك في أصحاب هذا المنهج ، وربما يضعف دينه. فهل لنا أن نعي خطورة هذا الأمر؟ واختلاف وجهات النظر لا يؤدي إلى هذه التصرفات.

الصفحة الأخيرة

حجة ساقطة

عبد القادر حامد

من يتابع تصريحات دعاة " السلام " الذليل والهزيل مع اليهود ؛ واللاهثين وراءه بكل قواهم ؛ يصيبه العجب العجاب من الحجج التي يسوقونها ليعطف عليهم اليهود وأشياعهم ؛ فيقبلوا مجرد بحث هذا الموضوع. ومن هذه الحجج الرخيصة والساقطة: أنهم يحاولون إقناع خصومهم بأنهم هم الطرف الوحيد المعتدل العاقل الذي يمكن التفاهم معه، بل وتبلغ بهم الصفاقة أن يلوحوا بأن التعامل مع اليهود من أجل كبح من يسمونهم "المتطرفين" ، وهذه دعوة صريحة للتعاون مع العدو ضد بني جلدتهم!

وهذا الموقف ينطوي على قصر نظر، ويحمل سوء قصد وخبث هدف. وفيه من الخسة والانحطاط الخلقي - الذي هو صفة من صفات المنافقين - ما يدعو إلى فضحه والتحذير منه بكل وسيلة.

أما قصر النظر :فهو ظنهم أن العدو يمكن أن يثق بهم، ويتخلى عن شيء من خططه التوسعية ومطامعه وأهدافه في العمل الدؤوب على إضعاف كل عناصر المقاومة عند العرب، ومقارنتهم "المتطرفين المسلمين بالمتطرفين الصهاينة".

وأما سوء القصد وخبث الهدف: فهو سعيهم الحثيث للصلح مع العدو ، ومحاولتهم المستميتة لتجميل صورهم القبيحة في نظر العدو، بينما لا يبذلون مثل هذا الجهد لإظهار حسن النية مع أبناء أوطانهم ممن يخالفونهم الرأى؟ بل يحرصون على احتكار الأعمال الوطنية ويدعونها لأنفسهم، ويجردون الكثيرين من بني أوطانهم من كل الحقوق والامتيازات ؛ إلا حق التعرض لبطش العدو وجبروته ، وتجاهل المفترض أن يكون صديقاً وتحامله وتشويهه..

تمت بعون الله ، والحمد لله
